# منهجية القراءة البلاغية
# بين التأويل والتمثيل
## « في أحاديث التأويل »
## في صحيح البخاري

للدكتـــــوره
**إيمان سعيد حسن موسى**
مدرس البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالإسكندرية - جامعة الأزهر

تُعد قضية التأويل من أهم قضايا الدراسات القرآنية اختلف فيها أعلام الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً، وافترقت عليها الفرق الإسلامية بين مؤيد ومعارض، وتناولتها الأقلام قبولاً ورفضاً، وكانت مثار جدل عنيف شابه غير قليل من تبادل الاتهامات، وما زال التأويل حتى اليوم من أخطر ما يمكن فهم القرآن الكريم والحديث الشريف من خلاله، وما زلنا إلى اليوم نشهد اتجاهات متباينة فى الفكر الإسلامي كلها تتخذ من التأويل سبيلاً يُطوع به آيات القرآن والحديث الشريف ليؤيد بها فكره، بل لا نكون مغالين إذا قلنا إن تاريخ الإسلام شهد حروباً كان التأويل منشأها.

تأول الخوارج القرآن الكريم فى حروبهم مع الإمام علي – ﷺ – فتارة يلزمونه بقبول التحكيم مع معاوية، ثم هم تارة أخرى – عند ما قبل التحكيم – يطعنون عليه بأنه خالف قول الله تعالى ﴿.. إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ.. ﴾ (١) وهم فى الحالين متأولون للقرآن، ملتمسون منه الدليل على ضرورة قَبول التحكيم أولاً، وضرورة رفضة آخراً. (٢)

وفى عصرنا هذا كان تأويل القرآن الكريم والحديث الشريف حُجة لكثير من الجماعات الإسلامية لتدعم به ما تدين به من آراء.

وما بين هذا وذاك كم من فتن ثارت كان مردها حقاً إلى التأويل لذا فقد انقسم الفكر الإسلامي إزاء قضية تأويل القرآن إلى ثلاثة مواقف فهناك موقف منكر للتأويل ، رافض له يعلى من شأن التفسير على حساب التأويل باعتبار أنه لون من التحريف يتخذه أهل الأهواء دليلاً على مشروعية أهوائهم ، وهناك موقف ثان اعتمد على التأويل الباطنى حيث تم تأويل القرآن فى غياب منهج منضبط وذلك بعرض تصورات مسبقة على التأويل ويكون التأويل حينئذ خادماً للأغراض المذهبية .

**ثالثاً:- التأويل البلاغى:-**

نعنى به ذلك التأويل الذى يقوم على أساس بلاغى، فيتخذ من البلاغة أداة للكشف عن المعنى غير الظاهرى، وذلك بما تحتمله اللغة العربية وأصولها،

---

(١) الأنعام آية رقم ٥٧.

(٢) الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية الجزء الأول د/ عبدالفتاح أحمد فؤاد ص ٣١٨ ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .

وبما أثر عن العرب من مذاهب الكلام، والتأويل فى اصطلاح أصحاب هذا الاتجاه هو :

" إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز من تسمية الشئ بشبيهه، أو سببه، أولا حقه أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عودت فى تعريف أصناف الكلام المجازى " (١).

أو هو " عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذى يدل عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كل تأويل صرفاً للفظ عن الحقيقة إلى المجاز " (٢).

فالمجاز – بمعناه الواسع – هو القاعدة الرئيسة للتأويل البلاغى وهذا الاتجاه فى التأويل وسط بين الاتجاهين السابقين، فلا هو يخضع لظاهر النص، ولا هو متأول دون حجة أو دليل، وبه قالت عدة فرق منها الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والزيدية والإمامية والإثناعشرية. (٣)

**هذا** ...

ومن من المعلوم أن دارسي الإعجاز يتخذون من البلاغة وسيلة لإظهار مزايا الأسلوب القرآنى، ودلائل إعجازه وتفوقه على النماذج العليا من البيان العربى، وقدرته على التأثير فى نفوس سامعية إلى نحو ذلك مما يتعلق بجماليات النص.

والمنهج البلاغى فى التأويل لا يقصد إلى شئ من هذا بل للبلاغة عنده هدف آخر هو الإحاطة بالنص القرآنى وبالحديث الشريف فهماً وإدراكاً لمعانيه، وفرق واسع بين من يقف عند بلاغة القرآن والحديث يتذوق جمالهما ومن يقف عند بلاغة القرآن الكريم والحديث يتخذ منها وسيلة لفهم النص ذاته، وهذا الفارق بين الموقفين واسع لا من باب الأفضلية – فلكل شأن لا يحل فيه أحد المنهجين محل الآخر – وإنما من باب الغاية التى تسعى إليها البلاغة فى كلا الموقفين.

---

(١) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد تحقيق مصطفى عبد الجواد عمران، المكتبة المحمودية، القاهرة ط ٣، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م، صـ ١٦.

(٢) المستصفى من علم الأصول للغزالى، دار الفكر، بيروت ( د. ت ) صـ ١/٣٨٧.

(٣) ينظر المرجع السابق .

ثم يفترقان كذلك من حيث ما اختص به منهج التأويل من زيادة الاعتناء بالمتشابه من آيات النص الكريم.

والمتشابه – على إتساع مدلوله يكاد يتلازم والتأويل أكثر من تلازمه بالتفسير لاختصاص الأول بتعدد الدلالات التى تتناسب مع طبيعة النص المتشابه نفسه، ولا غرابة فى أن يعول منهج تأويل القرآن والحديث على القراءة البلاغية، فالقرآن الكريم كله والحديث الشريف يزخران بالتعبيرات البلاغية، بل يذهب سيد قطب إلى أن " الصور فى القرآن ليست جزءاً منه يختلف عن سائره، إن التصوير هو قاعدة التعبير فى هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة فى جميع الأغراض – فيما عدا أغراض التشريع بطبيعة الحال – فليس البحث إذن عن صور تجمع وترتب ولكن عن قاعدة تكشف " (١).

وربما يعنى سيد قطب باستثناء غرض التشريع بأنه كان أقل من الأغراض الأخرى للقرآن الكريم فى الاعتماد على التصوير، لكن هذا لا ينفى أن آيات التشريع كان لها حظ كذلك من التصوير الفنى والإعجاز البلاغي.

فلا غرابة إذن والأمر كذلك فى أن تكون القراءة البلاغية الإطار العام لمنهج تأويل القرآن والحديث الشريف، فتلك القراءة جديرة بنص له طبيعة كهذه الطبيعة.

على أنه لا غرابة فى ذلك لأنه كما كانت تلك القراءة أقرب القراءات لطبيعة النص فإنها كذلك أقربها إلى طبيعة التأويل ويظهر ذلك باستجلاء حقيقة القراءة البلاغية ذاتها.

فالقراءة البلاغية لا تقتصر على وجه من وجوه البلاغة أو علم واحد منها كعلم البيان، وإنما القراءة البلاغية قراءة تنأى عن القراءة الحرفية للنص مستعينة بما شاءت من أدوات البلاغة كيفما كان موضعها من علوم البلاغة المختلفة.

والقراءة البلاغية تعنى ذلك الاتساع الدلالى الذى يربأ بالنص عن أن يقتصر على دلالته المعجمية، لذلك فالقراءة البلاغية ذات وجوه متعددة يتشكل من مجموعها معالم منهج تأويل الحديث الشريف .

---

(١) التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب دار الشروق القاهرة ط ١٦، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م صـ ٩.

## منهجية القراءة البلاغية

إن السؤال الذى يطرح نفسه الآن كيف يمكن للقراءة البلاغية إنجاز عملها فى تأويل النص بطريقة منهجية ؟

تحاول القراءة البلاغية أن تنجز عملها عبر آلياتها المختلفة من خلال محورين، أحدهما خارج النص والآخر داخله.

**أولاً:- المحور الخارجى:-**

للوقوف على دلالة الكلمة والتراكيب والصور فى القرآن الكريم والحديث الشريف يتجه المنهج البلاغى إلى سياقات لغوية خارجية شبيهه بالسياق القرآنى والحديث الشريف، مع الآخذ فى الاعتبار أن ذلك تشابه لا تطابق فللنص القرآنى دائما خصوصيته فى استخدام ألفاظ التراكيب.

وقد فطن الإمام الزمخشرى إلى هذا عند وضعه لمعجمه " أساس البلاغة " [1] فلم يكتف بما اكتفت به المعاجم من تقديم المعانى اللغوية المتراكمة عبر الزمان والمكان فى سلة واحدة، وإنما التفت إلى ضرورة وضع معجم سياقى تتحدد فيها المعانى البلاغية لتلك الألفاظ حسب السياق، فالسياق هو الذى يعطى الكلمة معناها البلاغى وعد الزمخشرى ذلك " أساس البلاغة " وهو كذلك أساس المنهج البلاغى فى تأويل القرآن والحديث الشريف اعتماداً على السياق.

ويعرض الزمخشرى هذه الفكرة فى صدر كتابه فيقول " هذا ولما أنزل الله كتابه مختصاً من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة التى تقطعت عليها أعناق العتاق السبق، وونت عنها خطى الجياد القرح، كان الموفق من العلماء الأعلام، أنصار ملة الإسلام، الذابين عن بيضة الحنيفية البيضاء، المبرهنين على ما كان من العرب العرباء، حين تحدوا به من الإعراض عن المعارضة بأسلات ألسنتهم، والفزع إلى المقارعة بأسنة أسلهم، من كانت مطامع نظره، ومطارح فكره الجهات التى توصل إلى تبين مراسم البلغاء، والعثور على مناظم الفصحاء، والمخابرة بين متداولات ألفاظهم، ومتعاورات أقوالهم والمغايرة بين ما انتقوا منها وانتخلوا، وما انتفوا عنه فلم يتقبلوا، وما استركوا واستنزلوا، وما استفصحوا واستجزلوا، والنظر فما كان الناظر على وجوه الإعجاز أوقف، وبأسراره ولطائفة أعرف، حتى يكون

---

(١) الزمخشرى: أساس البلاغة، الهيئة العامة لقصور الثقافة " الزخائر " القاهرة ٢٠٠٣ م.

صدر يقينه أثلج وسهم احتجاجه أفلج، وحتى يقال هو من علم البيان حظى، وفهمه فيه جاحظى " (١).

فالزمخشرى يرى أن الوقوف على أسرار القرآن لا يكون بالرجوع إلى الألفاظ اللغوية مجردة عن سياقاتها وإنما هى داخل تعبيرات البلغاء وتراكيب الفصحاء، فاللفظ ليس له دلالة خارج السياق، وإنما السياق هو الفيصل فى تحديد المعنى الحقيقى والبلاغى.

ومن هنا يرى الزمخشرى أن " من خصائص هذا الكتاب غير ما وقع فى عبارات المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين، أو ما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها، من التراكيب التى تلمح وتحسن ولا تنقبض عنها الألسن بحريها رسالات على الأسلات، ومرورها عذبات على العذبات.

ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف، بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بددا، ومتناظمة لا طرائق قددا، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حر المنطق، الدالة على ضالة المغلق.

ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح (٢).

إن فى ربط الزمخشرى قوانين فصل الخطاب بالتمييز بين القراءة البلاغية والقراءة الظاهرية، والتماسه ذلك فى سياقات البلغاء لدلالة على أن المنهج البلاغى لابد أن ينأى عن الدلالة المعجمية للألفاظ، بل عليه التماس معانيها البلاغية فيما يقاربها من البيان العربى وهذا ما سعى الزمخشرى إلى تحقيقه فى معجمه.

ويمكننا أن نتلمس الفرق بين المنهج السلفى والمنهج البلاغى فيما يورده كل من ابن كثير نقلاً عن ابن جزى السعيدى والزمخشرى من تفسير لبعض الآيات وبالتالى ينطبق هذا على الحديث الشريف أيضاً.

نجد ابن كثير يقف عند الدلالات المعجمية لقوله تعالى ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ (٣) وعلى ذلك فتفسير الآية " لم تكن لهم

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى ص: ح.
(٢) الزمخشرى: أساس البلاغة، ص: د.
(٣) الدخان ٢٩.

أعمال صالحة تصعد فى أبواب السماء فتبكى على فقدهم، ولا لهم فى الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها ففقدتهم، فلهذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم " (١).

ويبدو أن ابن كثير قد رأى أن قراءته هذه للآية لم تكتمل بعد فإذا كان يتنسى له أن السماء والأرض على نحو حقيقى، فقد بقى له أن يفسر كيفية بكاء باب السماء وبكاء موضع السجود من الأرض.

وهو يعتمد المنهج السلفي فى التفسير واتبع ابن جرير الطبرى فى ذلك .

ولا يجد ابن كثير بعد استعانته بالكثير من الروايات المأثورة حرجاً من أن يحتج فى الإجابة عن ذلك بأن يروى " عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان يقال تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحاً، وكذا قال مجاهد وسعيد ابن جبير وغير واحد، وقال مجاهدٌ أيضاً: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، قال: فقلت له أتبكى الأرض ؟ فقال أتعجب ؟ وما للأرض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل. وقال قتادة كانوا أهون على الله ﷻ من أن تبكى عليهم السماء والأرض...

وقال ابن أبى حاتم حدثنا عبد السلام بن عاصم حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا المستورد بن سابق عن عبيد المكتب عن إبراهيم قال ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين، قلت لعبيد أليس السماء والأرض تبكى على المؤمن ؟ قال ذاك مقامه حيث يصعد عمله، قال وتدرى ما بكاء السماء ؟ قلت: لا، قال: تحمر وتصير وردة كالدهان إن يحيى بن زكريا ﷺ لما قُتل احمرت السماء وقطرت دماً، وإن الحسين ابن على رضى الله عنهما لما قتل احمرت السماء.

وحدثنا على بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمر وزنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد قال: " لما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر، قال يزيد واحمرارها بكاؤها، وهكذا قال السدى فى الكبير، وقال عطاء الخراسانى بكاؤها أن تحمر أطرافها " (٢).

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٦٤/٤ ، والمصحف المفسر لإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ص٤٩٧ طبعة دار الغد العربي الجزء التاسع ١٩٩٤م ، ١٤١٤هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٤/٤.

ويظهر لنا الفرق بين المنهج البلاغى الذى يعتمد التأويل والمنهج النقلي السلفى بمقارنة تفسير ابن كثير السابق بتفسير الزمخشرى للآية، فقد تجاوز الزمخشرى الدلالات المعجمية للسماء والأرض متجهاً إلى سياق مشابه فى البيان العربى، فوجد أن من طرائق العرب فى التعبير أنهم يقولون " إذا مات رجل خطير قالت العرب فى تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض " (١).

" وقد أشار الزمخشرى إلى استخدام البلغاء مثل هذا التعبير بعد عصر التنزيل وربط بين المعنى المجازى للبكاء فى كلام العرب والآية الكريمة فقال " قال جرير:

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكى عليك النجوم الليل والقمرا

وفى الحديث: " لكن حمزة لا بواكى له " وهو من البكائين.

ومن المجاز بكت السحابة فى أرضهم، " فما بكت عليهم السماء والأرض " (٢).

ولا ندرى كيف كان لابن كثير أن يفسر قول جرير إذا اتبع المنهج السلفى نفسه .

وقد توسع الشريف المرتضى فى التأويل البلاغى للآية مؤكداً على قدرة المنهج البلاغى على إعطاء دلالات واسعة للآيات فيقول " إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم " كذلك وأور ثناها قوماً أخرين ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ وكيف يجوز أن يضيف البكاء إليهما وهو لا يجوز فى الحقيقة عليهما ؟.

**الجواب:** يقال فى هذه الآية وجوه أربعة من التأويل:

**أولها**:- أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض، فحذف كما حذف فى قوله ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ.. ﴾ وفى قوله تعالى ﴿.. حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا.. ﴾ وأراد أهل القرية، وأصحاب الحرب، ويجرى ذلك مجرى قولهم: السخاء حاتم، يريدون السخاء سخاء حاتم، قال الحطيئة:

وشر المنايا ميت وسط أهله كهلك الفتى قد أسلم الحى حاضره

أراد شر المنايا ميتة ميت وقال الآخر:

---

(١) الكشاف للزمخشرى ٤/٢٧٦.

(٢) أساس البلاغة للزمخشرى مادة بكى ١/٦٠.

قليـــل عيبـــه والعيـــب جـــم ولكـــــن الغـــــنى رب غفـــــور

أراد غنى رب غفور [1] وقال ذو الرمة:

لهم مجلس صهب السبال أذلـة سواســـية أطرارهـــا وعبيـــدها

أراد أهل مجلس:

**وثانيهما**:- أنه أراد تعالى المبالغة فى وصف القوم بصغر القدر وسـقوط المنزلـة لأن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهلك، قالت: كسفت الـشمس لفقـده، وأظلم القمر، وبكاء الليل والنهار والسماء والأرض، يريدون بذلك المبالغـة فـى عظم الأمر وشمول ضرره.

**وثالثهما**:- أن تكون معنى الآية الإخبار عن أنه لا أحد أخذ بثأرهم ولا انتصر لهم، لأن العرب كانت لا تبكى على مقتل إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بـواء بـه مـن عـشيرة القاتـل، فكنـى تعـالى بهـذا اللفـظ عـن فقـد الانتصار، والأخذ بالثأر على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.

**ورابعها**:- أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صـالح يرفـع منها إلى السماء.

ويمكن فى الآية وجه خامس وهو أن يكون البكاء فيه كناية عـن المطـر والسقيا، لأن العرب تشبه المطر بالبكاء، ويكون معنى الآية أن السماء لـم تـسق قبورهم، ولم تجد عليهم بالقطر، على مذهب العرب المعروف فـى ذلـك، لأنهـم كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من أعزائهم، ويستبتون لمواقع حفـرهم الزهر والرياض.

فيقال: " أنه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم وأن الأرض لم تعشب عليها وكـل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه " [2].

---

(١) هذا التقدير يفسد معنى البيت وإنما أراد الشاعر أن هذا الإنسان بالرغم من أنه ذو عيوب كثيرة إلا أنها عند الناس قليلة بسبب غناه فالناس تتغافل عن عيوب الغنى، وكـأن الغنـى رب غفور قد غفى العيوب.

(٢) غررالفوائد ودرر القلائد للمرتضى، ٤٩/١ وما بعدها تحقيق محمد أبوالفـضل إبـراهيم طبعة دار الفكر العربي بيروت ١٩٩٨م.

وقد ذهب أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (١) إلى صورة مشابهة فى البيان العربى، وقد رد على من سأل عن تفسير الآية قائلاً " إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قوله امرئ القيس:

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول، ولما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به " (٢).

وعلى هذا ينبغى دراسة ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وصوره وكذلك الحديث الشريف فيما أثر من أصول البيان العربى، ومن ثم ترد التعبيرات القرآنية وتعبيرات الحديث الشريف إلى الأساس البلاغى من الموروث العربى.

ولكن هل يغنى كذلك الرجوع إلى سياقات الكلمة فى البيان العربى ورد الظاهرة البلاغية القرآنية. والظاهرة البلاغية فى الحديث الشريف إلى ما يماثلها فى الموروث البلاغى ؟.

إن لكل من القرآن الكريم والحديث الشريف خصوصيته وتفرده، وإذا كان الرجوع إلى البيان العربى أمراً مهما فى القراءة البلاغية فإن الرجوع إلى البيان القرآنى نفسه وكذلك الرجوع إلى البيان النبوى أولى وهو ما ينقل الحديث إلى دراسة المحور الداخلى.

**ثانياً:- المحور الداخلى:-**

ظهر مما سبق أن قيمة الألفاظ لا تكمن فى معانيها المجردة، ولكن فى معانيها البلاغية التى يقتضيها السياق، وفى المحور الخارجى يستعين المنهج بالبيان العربى لتحديد هذه المعانى السياقية، وفى المحور الداخلى يقوم بالخطوة ذاتها من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف بدلاً من البيان العربى، أى أن المنهج البلاغى يتبع ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف وكذلك التراكيب والصور فى سياقاتها القرآنية والنبوية المتعددة بغية الوصول إلى فهم أوسع لدلالات الألفاظ والتراكيب والصورة.

---

(١) الصافات ٦٥.

(٢) وفيات الأعيان وأبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق محمد محى الدين بن عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م، ٣٢٤/٤.

وقد بدأ الاهتمام بهذا الجانب مبكراً جداً، حيث وضع مقاتل بن سليمان البلاغى " ت ١٥٠ هـ " كتابه " الأشباه والنظائر " [١] تتبع فيه موارد اللفظ فى القرآن، مستخلصاً من ذلك معانيه المختلفة، فلفظ الهدى عنده جاء على سبعة عشر وجهاً منها البيان والإسلام والإيمان والدعوة والمعرفة والكتب والرسل.

ولفظ الكفر على أربعة وجوه: الكفر بتوحيد الله وكفر الحجة، وكفر النعمة، والبراءة.

ولفظ الشرك فى القرآن يعنى الإشراك بالله، والشرك فى الطاعة من غير عبادة، والرياء وهو الشرك فى الأعمال.

ومقاتل فى ذكره لهذه الوجوه يذكر ما يوافق هذه المعانى من آيات القرآن الكريم وقد اضطلع الراغب الأصفهانى " ت ٥٠٢ هـ " فى " المفردات فى غريب القرآن " بشئ من أعباء هذه الخطوة، وهو يحدد الغرض من وضع كتابه بأنه الإشارة فيه إلى المناسبات بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات " [٢].

وأهمية ذلك " أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معانى مفردات ألفاظ القرآن فى كونه من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، لتحصيل اللبن فى كونه من أول المعادن فى بناء ما يريد أن يبنيه ".

والراغب يؤثر مقدمة موجزة تاركاً اكتشاف المنهج للكتاب ذاته إذ تبين مواد المعجم منهجه أكثر مما تقرره مقدمته.

يتعرض الراغب لكلمة " هدى " وهى اللفظة التى كانت مناط خلاف كبير بين الفرق الإسلامية فيما يتعلق بالإرادة والقدر ويحتكم الراغب فى تحديد مدلول كلمة " هدى " إلى السياقات المختلفة داخل القرآن الكريم ليخرج بنتيجة مفادها أن الهدى على أربعة معان:

**الأول**:- الهداية التى عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، التى أعم منها كل شق بقدر فيه، حسب احتماله كما قال " ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ".

---

(١) الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان، تحقيق د. عبد الله شحاته دار غريب، القاهرة ٢٠٠١ م.

(٢) المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى صـ ٦ المفردات للأصفهانى صـ ٦.

**الثانى**:- الهداية التى جعل الناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا.. ﴾.

**الثالث**:- التوفيق الذى يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى.. (١)﴾ وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ.. ﴾(٢) وقوله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.. ﴾(٣) ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى.. ﴾ .(٤) ﴿.. فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ.. (٥)﴾ ﴿.. وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.(٦)

**الرابع**:- الهداية فى الآخرة إلى الجنة، المعنى بقوله ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾(٧) ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ.. (٨)﴾ إلى قوله ﴿..الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا.. ﴾ (٩).

إن استعراض الدلالات المختلفة للكلمة فى سياقاتها المختلفة مكنت الراغب من تبيين مجاز المعنى فى قوله تعالى ﴿.. فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾.(١٠)

يقول " إن قيل كيف جعلت الهداية بلطف وقد قال الله تعالى ﴿..فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿.. وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (١١)﴾ ؟

قيل: ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم مبالغة فى المعنى كقوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١٢) وقول الشاعر:

---

(١) محمد آية رقم ١٧.
(٢) يونس آية رقم ٩ .
(٣) العنكبوت آية رقم ٦٩ .
(٤) سورة مريم آية رقم ٧٦ .
(٥) البقرة آية رقم ٢١٣ .
(٦) البقرة آية ٢١٣ .
(٧) محمد آية ٥ .
(٨) الأعراف آية ٤٣٥ .
(٩) المفردات للأصفهانى فى صـ ٥٣٩.
(١٠) الصافات آية ٢٣ .
(١١) الحج آية ٤ .
(١٢) آل عمران آية ٢١، التوبة ٣٤ .

تحيـــة بينـــهم ضـــرب وجيـــع [1]

إن الراغب الأصفهانى يبدأ باستقراء دلالة الكلمة فى النص القرآنى، ثم ثنى بمقارنة التركيب فى الآية بما يماثله تراكيب قرآنية، ثم يقارنه بما لها من تراكيب عربية، وكان قبل ذلك قد قدم المعنى اللغوى فى بعض سياقاته وهو بـذلك يقـدم أساساً لقراءة منهجية.

وهذا المنهج البلاغى مكن للراغب مرة أخرى من تأويـل غيـر موضـع للآيات المتشابهات فالموضع الأول ما ظاهره التعارض بـين قولـه ﴿.. وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ..﴾[3].

إذا المقصود بالهداية فى الآية الأولى هداية الدلالـة، والمقـصود بالهدايـة الثانية فى الآية الثانية سائر الهدايات الأخرى.

والموضع الثانى من مواضع التشابه ما أشكل من حجب الهداية فـي قولـه تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا.. ﴾ [4] وقوله ﴿.. وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [5] وقوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَـوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [6].

فإن " كل هداية ذكر الله ﷻ أنه منع الظالمين والكافرين فهى الهداية الثالثـة وهى التوفيق الذى يختص به المهتدون، والرابعة التى هى الثـواب فـى الآخـرة وإدخال الجنة " [7].

ولقد تلقف الإمام محمد عبده ما انتهجه الراغب، ودعا إلى ضرورة الاهتمام بالسياق وتتبعه حتى أنه ليستشهد بما استشهد به الراغب.

يقول الإمام محمد عبده " فعلى المدقق أن يفسر القـرآن بحـسب المعـانى المستعمل فى عصر نزوله، والأحق أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع مـا

---

(١) المفردات الأصفهانى صـ ٥٣٩.
(٢) الشورى ٥٢.
(٣) القصص ٥٦.
(٤) آل عمران ٨٦.
(٥) البقرة ٢٥٨.
(٦) النحل ١٠٨.
(٧) المفردات الأصفهانى صـ ٥٤٠.

تكرر فى مواضع منه، وينظر فيه فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ " الهداية " – سيأتى تفسيره فى الفاتحة – وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا إن القرآن يفسر بعضه ببعض وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذى جاء له الكتاب بجملته " (١).

يحدد الإمام محمد عبده خطوات التفسير بالرجوع إلى دلالة الألفاظ حسب المعنى المستخدم عصر نزول القرآن ثم الرجوع إلى مواضعه فى القرآن الكريم ثم يولى السياق اهتماماً بالغاً، فهو القرينة التى يتحدد من خلالها معنى الكلمة.

والسياق عنده إما محدود يتمثل فى الآيات السابقة وجملة المعنى أو سياق غير محدود يتمثل فى مقاصد القرآن كله.

فالآية، ومجموع الآيات السابقة والتالية، والسورة، والقرآن كله جميعاً سياق للكلمة، وهذا المنهج الذى دعا إليه محمد عبده هو عين ما اتبعه الراغب، بل إن المثال الذى استشهد به محمد عبده وعلق عليه تعليقاً مطولاً فى خاتمة الكتاب مما يتعلق بلفظ الهداية يكاد كلامه منه أن يكون نص كلام الراغب الذى عرض آنفاً(٢).

وإلى هذا المنهج الذى أرساه الراغب – وأخذ به محمد عبده فى تفسيره – دعا أمين الخولى إلى ما عرف عند تلامذته بالتفسير البيانى وذلك قوله " وإذا ما فرغ البحث فى معنى اللفظ اللغوى انتقل بعده إلى معناه الاستعمالى فى القرآن، يتتبع ورودها فيه كله لينظر فى ذلك، فيخرج منه برأى عن استعمالها، هل كانت له وحدة اطردت فى عصور القرآن المختلفة ومناسباته المتغيرة، وإن لم يكن الأمر كذلك فما معانيها المتعددة التى استعملها فيها القرآن ؟ وبهذا يهتدى بمعناها، أو معانيها اللغوية إلى معناها أو معانيها الاستعمالية فى القرآن، وهو بما سينتهى إليه من كل أولئك يفسرها مطمئناً فى موضعها من الآية التى جاءت منها " (٣).

ولقد أشار أمين الخولى إلى ما لم يشر إليه محمد عبده من إرجاح الفضل فى هذا المنهج إلى الراغب فقال " وقد حاول الراغب الأصفهانى منذ قرابة ألف

---

(١) تفسير المنار لمحمد عبده ١/٢٠.

(٢) تفسير المنار لمحمد عبده ١/٥٢.

(٣) مناهج التجديد لأمين الخولى صـ ٢٣٨ وانظر مقدمة التفسير البيانى للقرآنى الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن.

عام أن يعطينا مفردات القرآن فى قاموس خاص بها، وعانى فيها شبيهاً بما وصفناه أو بشئ من أصل فكرته، ولكنه لم يتم التعقب اللغوى، ولم يستوف التتبع القرآنى، وفاته مع ذلك كله فرق ما بين عصره وعصرنا فى دراسة اللغات وصلاتها، إلا أنه فى كل حال نواة تخجل من بعده، وبخاصة أهل العصر الطموح فيؤلمهم ألا يملكوا إلا هذا المعجم القرآنى الناقص بل البدائى " (١).

لكن ما يحسب لمحمد عبده حقاً براعته الفائقة فى تطبيق لمنهج حتى أصبح المنهج حقيقة واقعية لا تنظيراً فكرياً وحسب.

والخلاصة أن التراكيب القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لا تنفصل عن الألفاظ يحتاج كلاهما إلى الرجوع للبيان العربى، وإلى استقراء النص القرآنى تقرن فيه التراكيب والألفاظ إلى مثيلاتها من الألفاظ والتراكيب فى القرآن نفسه وكذلك الحال فى الحديث الشريف.

فتفسير كلمة " سيئة " وهى محل تساؤل عن مغزاها بهذا اللفظ – فى قوله تعالى ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا.. ﴾ (٢) لا يتم إلا بردها إلى ما يماثلها من وجوه البيان القرآنى كقوله تعالى ﴿.. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٣).

لنخرج بنتيجة مفادها أن " سيئة " جاءت على سبيل المشاكلة التى يتبعها النسق القرآنى ويجوز حملها على كونها مجازا مرسلاً لعلاقة السببية حيث أطلق السيئة على المجازاة لكون السيئة سببا فى العقوبة أو المجازاة.

وعلى المؤول أن يتبع الآيات القرآنية التى جاءت على سبيل المشاكلة فالظواهر البلاغية فى القرآن يفسر بعضها بعضاً.

وعلى ذلك فتفسير المفوضين لقوله تعالى ﴿.. يَدُ اللهِّ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ.. ﴾ (٤) باليد الحقيقية متحرجين من عدم نسبة ما نسبة الله إلى نفسه، ويمكن دحضة بالرجوع إلى تراكيب مشابهة من المشاكلة كما فى قوله تعالى ﴿.. نَسُواْ اللهَّ فَنَسِيَهُمْ.. ﴾ (٥).

---

(١) مناهج التجديد لأمين الخولى ص ــ ٢٣٨.
(٢) الشورى ٤٠.
(٣) الأنفال ٣٠.
(٤) الفتح آية رقم ١٠.
(٥) التوبة: ٦٧.

فلا يمكن أن ننسب النسيان إلى الله وإن جاءت بظاهرة الآية بحجة أننا نثبت لله ما أثبته لنفسه وهذا هو مذهب أهل السنة.

وعلى ذلك " فاليد " تؤول بما تقتضيه المشاكلة فى الآيات السابقة، وذلك أنه لما ذكر الأيدى بما يدل على البيعة ذكر اليد على سبيل المشاكلة ليدل على رضا الله عنهم ، وعلى هذا فإن القراءة البلاغية تعنى ذلك الاتساع الدلالى الذى يربأ بالنص من أن يقتصر على دلالته المعجمية فالقراءة البلاغية ذات وجوه متعددة يتشكل من مجموعها معالم منهج تأويل الحديث الشريف .

ومن ذلك – على سبيل المثال لا الحصر ما يلى [1]:

(١) لا نقصد بحال من الأحوال أن نقصر تأويل الأحاديث الشريفة التى نعرض لها فيما يلى على التأويلات البلاغية التى تقدمها تمثيلاً للمنهج بحيث نرفض غيرها من التأويلات، فهذا ما لا يتفق مع طبيعة النص القرآنى أو الحديث الشريف.

١- روى البخاري[١] ﷺ عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ((فَوَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوَن أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ )).

فى هذا الحديث الشريف جملة لها صله وطيده بموضوع البحث ألا وهى: " فو الذى نفسى بيده ".

**المعنى المجازي** :-

الجسمية والحدوث وغيرها من المعانى التى يتنزه الله سبحانه وتعالى عنها.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

بدأ الرسول ﷺ حديثه الشريف بالقسم باسم الموصول فى قوله: "فو الذى نفسى بيده وذلك لتضمن جملة الصلة حكما مهماً فمع أن المخاطب ليس منكراً ولا سائلاً إلا أنه ﷺ بدأ بهذا القسم ليشعرنا باهتمامه ﷺ بهذا الخبر وإرادته أن يشعر المخاطب أيضاً بهذا الاهتمام والتأكيد على أن حبه ﷺ من الإيمان. ويبدو أن الرسول ﷺ قد اختار هذا القسم دون غيره كأنه أراد أن يقول هأنذا أقسم بالذى نفسى فى قبضة يده إن شاء أماتنى وإن شاء أحيانى. ثم إن التوكيد هنا دليل على مخافة الرسول ﷺ على أمته فهو كما وصفه ربه "عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم"[٢] فلابد أن نجعل ما يخافه علينا بين أعيننا " وقوله ﷺ " فوالذى نفس محمد بيده " من أيمانه ﷺ التى إذا اجتهد فى اليمين أفسد بها أو قال " والذى نفس أبى القاسم بيده وروى ابن ماجه أن يمين رسول الله كانت أشهد عند الله أو" والذى نفسى بيده ". وإن الأمة لتلتقي عن رسول الله ﷺ بلاغة الذى يبلغه عن رسله من غير حاجة إلى توكيد، لأن خبره عليه السلام خبر المعصوم ، فما وجه توكيده ﷺ باليمين ، ثم توكيد اليمين ؟ الجواب هو أنه ﷺ يبين بذلك

---

(١) صحيح البخاري لأبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، باب الإيمان حب الرسول ﷺ من الإيمان ٢٣/١ رقم الحديث "١٤" .

(٢) التوبة ١٢٨ .

أهمية الأمر الذى يتلكم فيه ، وأنه حين يقسم إنما يشير إلى خطر هذا الأمر وأنه عند الله بمكان لذى جاءت جملة جواب القسم مؤكدة فى ذات نفسها فضلا عن تأكيدها بالقسم الذى كان يُقسم به النبى ﷺ إذا اجتهد .

وقد كان لشراح الحديث فى بيان هذا القسم آراء عديدة من خلال هذا الحديث وغيره من الأحاديث التى ورد فيها هذا القسم فعلى سبيل المثال لا للحصر ما يرويه أنس بن مالك من قول رسول الله ﷺ ((**لا يُؤْمِن أَحَدُكم حَتَّى يُحبُ لِجَارِه – أَوْ قَالَ لأِخِيه مَا يُحِبُ لِنَفسِهِ**)) (١).

حيث نجد الإمام الكرمانى قد ركز على جملة الصلة وما ورد فيها من متشابه الحديث الشريف حيث قال: ولفظ اليد من المتشابهات.

وفى مثله افترقت الأمة فرقتين: مفوضة..، ومؤولة وهم الذين يؤولونها كما يقال: المراد من اليد القدرة.. والأول أسلم والثانى أحكم (٢).

أما عن التوجيه البلاغى لهذه العبارة " فو الذى نفسى بيده ".

يمكن أن تكون هذه العبارة كناية عن كمال قدرته تعالى فى النفس بالإحياء والإماتة، وهذا عند من نظر إلى الكناية من حيث ذاتها صارفاً النظر عن الأمر الخارجى وهو استحالة المعنى الحقيقى فى بعض الصور.

كما يمكن أن يكون التعبير باليد من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية من حيث كون اليد سبباً فى القدرة والقول بالكتابة أسلم ، لأن القول بالاستعارة قد يكون بعيداً مخلا بالمعنى.

**الحديث بتن يدى التمثيل :**

تأمل مخرج الكلام فى هذا الحديث عن حب رسول الله ﷺ ، تجد له مخرجاً غير المخارج التى تألفها فى الحديث عن حب الرسول فقد افتتح الرسول ﷺ كلامه بالتوكيد الذى يقذف فى قلب سامعه عناية الرسول بمعناه وحرصه على توكيده وتثبيته لأنه شأن يتعلق بأمته والحديث كله نفس واحد.

---

(١) صحيح مسلم بشرح الإمام النووى ١٧/٢ رقم الحديث ١٧٩ باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لأخيه من الجن .

(٢) الكواكب الدرارى ٩٧/١.

وجملة واحدة لا يتم المعنى الذى يحسن السكوت عليه إلا بأخر كلمة فيه ثم إنه بدأ بجوهر الموضوع وليس هناك مقدمات لا من الراوى ولا من كلامه ﷺ وهذه الحقيقة المتماسكة دخل فى تكوينها عدة جمل تلاحمت وتلاصقت ، وصارت جملة واحدة ، والفكرة تنمو بهذه الجمل حتى لا ترى شيئاً من الفواصل والمقاطع يفصل الكلام ويقطعه وإنما هى جمل مدمجة وهذا باب من تركيب الكلام لا ينفاد بهذه السهولة وهذه العذوبة إلا لمن له طبع وهو الباب الأعظم الذى لا ترى سلطان المزية يعظم فى شئ كعظمة فيه كما يقول الإمام عبدالقاهر[1] ويتجلى هذا من خلال تلك الصورة التمثيلية التى حرص الرسول على تقريبها إلى الأذهان وجعلها صورة مشاهده ومحسه حتى تتمكن فى النفس فضل تمكن كما لو كان هناك شخص "عبد" وموكول كل سائر أموره لسيده يصرفها كيفما يشاء حيث شبه ﷺ هيئة تمكن إرادة المولى جل وعلا من عبده وتصريفه بقدرته لسائر أموره بهيئة من كان زمام أموره فى يد آخر وتحت تصرفه يوجهه كيفما يشاء بجامع الهيئة الحاصلة من التمكن والسيطرة والتصريف تبع الإرادة . على سبيل الاستعارة التمثيلية وسر جمال هذه الإستعارة هنا أنها جسمت الصورة وجعلتها ناطقة فكان لها الأثر البليغ والوقع اللطيف " إنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينه والمعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون "[2].



(١) بتصرف من شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ محمد محمد أبوموسى مكتبة وهبه ص١٧٣ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

(٢) أسرار البلاغة ص ٣٣ .

**٢- ومن ذلك أيضاً ما ورد فى صحيح البخارى [١] عَنْ عَائشةَ رضى الله عنها أَنَّ النبَّى ﷺ دَخَل عَلَيها وَعنْدَها اِمْرأةٌ فقالَ: مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَت: فُلاَنه، تَذْكُر من صلاتها، قَالَ: مُهْ ! عَلَيْكُم بِمَا تُطِيقون، فَوَ الله لاَ يملُّ[٢] الله حَتَّى تَمَلُّوا ".**

**المعنى المجازى :-**

فى قوله " فو الله لا يمل الله حتى تملوا " استثقال الشئ المملول وكراهيته بعد حرص ومحبه، وإسناد النفس إليه تعالى وعجزه سبحانه عن ذلك، ومشابهته للحوادث وحاشا له !! [٣].

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

لو نظرنا إلى قوله ﷺ (( **فو الله لا يمل الله حتى تملوا** )) فهذا القول يجوز أن يكون من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المسببة وذلك إذا كان معناه أنه من إطلاق السبب وهو الملل وإرادة المسببة وهو الترك.

ويجوز أن يكون من قبيل الكناية عن صفة وهى الترك حيث ذكر الموصوف وذكر النسبة وحذف الصفة وذكر صفة تستلزمها وهى الملال.

أما إذا كان تأويله على أن الله ﷻ ليس من شأنه أن يمل فلا يمل وإن حدث ذلك الملل من العبد يكون الكلام من قبيل الحقيقة وقد نفى فيه الملال عنه سبحانه وهذا الرأى هو الراجح كما رجحه الإمام العينى [٤] ويكون المعنى عليه أن الله ﷻ لا يترك الثواب ما لم تتركوا العمل وعليه أيضاً يكون عدم الملال كناية عن استمرار القبول مدة دوام العمل.

---

(١) الصحيح ١/٣٠ أحب الدّين إلى الله أدوَمُهُ رقم الحديث ٤٣ .

(٢) الميم واللام أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تغليب شئ والآخر على عرض من الشئ والغرض هو الضجر يقال مللته أملف مللاً وملالة : شئمته وأمللت القوم : شفقت عليهم حتى ملوا وكذا أمللت عليهم مقاييس اللغة ٥/٢٧٥-٢٧٦ .

(٣) عمدة القارئ ١/٢٥٧.

(٤) عمدة القارئ ١/٢٥٧.

" وإذا كانت قرينة الكناية مجوزة لإرادة المعنى الحقيقى المستحيل نسبته لله سبحانه وتعالى بخلاف قرينة المجاز المانعة من إرادته، فإن وجهة من قال بالكناية أنه اعتبر الكناية من حيث ذاتها، وهم الذين اكتفوا بجواز إرادة المعنى الأصلى فى الجملة أى فى بعض صور الكناية وإن امتنعت إرادته فى المحل الذى استعمل فيه وهو مذهب بعض العلماء كالسعد فى التلويح، وإن كان فى المطول كثيراً ما يجارى الزمخشرى فيجعل أمثال هذا مجازاً عن الكناية " (١).

" فعلى قول الزمخشرى هذا يكون التعبير من قبيل المجاز عن المعنى الكنائى وهو الترك، إذ مثل هذه الإطلاقات تكون عنده كناية فيمن يجوز فى حقه المعنى الحقيقى، ومجازاً عن الكناية فيمن لا يجوز فى حقه ذلك، ووجهة نظر الزمخشرى الخوف على خطرات تبدو للجهال – وإن كانت مرحلة ذهنية قصيرة سرعان ما تتلاشى – إذ مبنى الكناية على أن قرينتها مجوزة لا مانعة " (٢).

وقد ذكر السيد الشريف فى حاشيته (٣) على المطول أن ما اشتهر من هذا يعد كناية، وإن كان لم يمنع أن يسمى مجازاً عن الكناية كما تمسك به الزمخشرى فى أغلب المواطن.

وبالرغم من ذلك فإن الزمخشرى قد ذكر قولا آخر فى هذا الموضع حيث قال إنه يمكن أن تؤخذ الخلاصة كما ذهب إليه فى معنى قوله تعالى (٤) ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ حيث جعل الزمخشرى الاستواء على العرش كناية عن الملك قائلاً فى كشافه: " لما كان الاستواء على العرش – وهو سرير الملك – مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك، فقالوا: استوى

---

(١) رسالة الصبان بحاشية الإتبابى صـ ١٠٠، ١٠١.

(٢) التصوير البيانى ٣٩٣ د/ محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبه الطبعة الثانية ١٩٨٠م ١٤٠٠هـ.

(٣) حاشية السيد الشريف على المطول صـ ٤١٤.

(٤) طه آية رقم ٥.

فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البته، وقالوه أيضاً لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته تلك فى مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر، ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة، ويد فلان مغلولة، بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين كما قلت " (١).

كما أنه يجوز أن يكون إطلاقه عليه سبحانه من قبيل المشاكلة حيث قد ذكر الملل بلفظ غيره كقطع الثواب لوقوعه فى صحبة ذكر الملل الذى جاز إطلاقه حقيقة على المخلوقين دون الخالق جل وعلا، على حد قوله تعالى ﴿.. تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ.. ﴾(٢) وقوله تعالى ﴿.. فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ.. ﴾ (٣).

**" الحديث بتن يدى التمثيل"**

"هذا الحديث الشريف سلك فى المعانى مسلكاً وثيقاً لأنه ﷺ لا يحذر أمته من شر وإنما يحذرها من خير ؟ ثم هو مع تحذيرها من هذا الخير لا يزهدها فيه ولا يصرفها عنه ، وإنما يحذرها من الذى يَحُف هذا الخير من المحاذير ، وأن الواجب أن تكون النفوس يقظة واعية فى مباشرتها وتعاملها مع ما يفيض عليها بها من نعم فلا تكلف نفسها ما لاتطيق وفيه دلالة على أن العمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع لأنه بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والإخلاص الإقبال على الله سبحانه ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة ".(٤)

ولقد سلك الرسول ﷺ فى توضيح هذا الأمر من خلال الاستعارة التمثيلية التى مناها على تشبيه التمثيل فلا يبصرها إلا ذو الأذهان الصافية والعقول النافذة ، والطباع السليمة والنفوس المستعدة لأن تعى الحكمة وفصل الخطاب فقد شبه الرسول ﷺ هيئة الطبيعة البشرية فى سرعة الملل والنفور

---

(١) تفسير الكشاف ٢/٥٣٠.

(٢) المائدة آية رقم ١١٦.

(٣) البقرة آية رقم ١٩٤.

(٤) بتصرف من شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ محمد محمد موسى ص٢٤٤.

من الاعتياد على شيئ بعينه بهيئة عدم استثقال المولى ﷻ من عبادته وحرصه على مجازاته لأعمالهم مع عدم الملل من المداومة على ذلك بجامع الهيئة الحاصلة من عدم الاستثقال والحرص عليهم والمداومة على تقبل سائر الأعمال والأقرب أن يقال إنه مجاز مرسل فقد عبر عن ترك المثوبة بالملل.

وسر جمال هذه الاستعارة أنها جسمت الأمر المعنوى المدلاك بالعقل بالأمر المشاهد المحس مما أعطى للصورة مدى أرحب ، لأن إدراكنا للمحسوس وتأثرنا له يكون أكثر وأقوى من المعنى التجريدي . وأرى أن حرص رسول الله ﷺ على إظهار هذه الصورة البلاغية فى معرض المقابلة بين طرفيها إنما هو تصوير لطبيعتين مختلفين " المولى سبحانه وتعالى عظمت ذاته التى لا مثيل لها " ليس كمثله شيئ " وطبيعة النفس البشرية " تلك النفس التى من شأنها العجز والنفور والاحتياج التى هى مبناها عليه فى مقابلة الطبيعة الربانية المنزهة عن كل نقص والتى من شأنها وطبيعتها ومبناها على الاحاطة والشمول والشفافية والموالاة والعطاء بلا حدود فقال مشيراً " فوالله لا يمل الله حتى تملوا " ومن شأن المقابلة أن تظهر المعنى ، وأن تنبيه الأذهان وتحرك العقول وبالوقوف عليها يزداد المعنى جمالاً ورسوخاً فى الأذهان واستقراراً فى العقول .

❁❁❁

٣- روى البخاري "عن أبى واقد الليثي أنَّ [١] رسولَ الله ﷺ بينما هو جَالسٌ فِي المسجدِ والناسُ معهُ إذ أقبلَ ثلاثَةُ نفَر، فأقْبَلَ اثْنَانَ إلى رَسُول الله ﷺ وذهبَ واحدُ – قالَ فوقفَا علَى رسولَ الله ﷺ، فأما أحدُهَما فرأى فُرجة فى الحلقةِ " فجلسَ فيَها، وأَما الأخْرُ فجلسَ حلفَهُم، وأما الثالثُ فأدبر ذاهباً، فلما فَرغَ رسولُ الله ﷺ قالَ:«**أَلاَ أُخْبِركُم عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَة ؟ أمَّا أحَدُهُم فَآوَى[٢] إلَى الله، فَأوَاهُ الله وأمَا الآخرُ فَاسْتَحَيا فَاسْتَحَيا اللهُ مِنهُ، وَأما الآخَرُ فَأعْرَضَ فَأعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**».

لو نظرنا فى قوله ﷺ " فآواه الله وقوله " فاستحيا الله منه " وقوله " فأعرض الله عنه ".

**المعنى المجازى:-**

المعنى المعروف لإيواء الشخص هو إنزاله عندك ومكوثه عندك فإذا قيل " فآواه الله " فإن هذا يوهم العندية والجهة وهما من صفات الحوادث تنزه الله سبحانه وتعالى عن ذلك.

أما قوله " فاستحيا الله منه " المعنى المعروف للاستحياء هو التحول والتغيير الذى يصيب الإنسان عندما يتعرض لشئ يخاف منه[٣].

وهذا من صفات الحوادث التى يتنزه الله سبحانه عنها.

أما قوله " فأعرض الله عنه " الإعراض بمعنى الالتفات يقال " اعرض لك الصيد فارقه وهو معرض لك وأعرض لى من كذا إذا نسبه " [٤] وهذا يوهم الجسمية وغيرها من صفات الحوادث التى يتنزه الله عنها.

---

(١) صحيح البخارى ٣٧/١ العلم/من قعد حيث ينتهى به المجلس ومن رأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها رقم الحديث ٦٦ .

(٢) أوى الهمزة والواو والياء أصلان أحدهما التجمع والثانى الإشفاف ومأوى هو مكان كل شئ يأوى إليه ليلاً أو نهاراً ويقال تأوت الطير إذا انضم بعضها إلى بعض " . مقاييس اللغة ١٥١/١، ١٥٢.

(٣) ينظر / لسان العرب مادة حيى ومقاييس اللغة ١٥١/١ .

(٤) أساس البلاغة صـ ٦٤٤/١.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

بدأ الرسول حديثه بألا الاستفتاحية فى قوله " ألا أخبركم عن النفر .. " وهذه الكلمة زادت المعنى وضوحاً لأنهم لا يستفتحون بها إلا كلاماً له خطر " قال الزمخشري ولكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدره إلا بنحو ما يتلقى به القسم نحو " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم " ثم إن التوكيد بعدها يزيد الكلام تقريراً وتوكيداً وكذلك التكرار فى الجملة بعدها " فأما أحدهما فآوى إلى الله – فاستحيا الله منه فأعرض الله عنه " من تمام المشبه به جئ بها زيادة فى التصوير والتمثيل .

ولو نظرنا فى قوله ﷺ (فآواه الله – فاستحيا الله منه – فاعرض الله عنه ) يمكن أن يكون هذا من قبيل المشاكلة فهذه الألفاظ " الإيواء والاستحياء والإعراض منسوبة إلى الله سبحانه " وإن لم يرد منها معناها الحقيقى وذلك لوقوعها فى صحبة أمثالها تحقيقاً وهذا ما يعرف بالمشاكلة المعروفة فى علم البديع (١).

كما يجوز فى هذه الجمل الثلاثة " فآواه – فاستحيا الله منه فأعرض الله عنه " أن تكون من قبيل الكناية عن صفة وهى كلاءة الله للعبد وإرادة الخير لمن أوى إلى حلقات العلم وجاء ربه مطيعاً راغباً كما يكون الاستحياء كناية عن الترك أى أن الله سبحانه يترك عقاب من لم يرد مضايقة الجالسين فى حلقة العلم والدين، ويكون الإعراض كناية عن الإذلال أى إذلال من أعرض بقلبه عن هذا كله وتعرض لسخط الله سبحانه وهذا كله عند من اكتفى فى الكناية بجواز إرادة المعنى الحقيقى (٢).

كما يجوز أن تكون هذه الجمل من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية أو اللزوم.

كما يجوز أن تكون مجازاً عن الكناية كما اشتهر عند الزمخشرى .

كما يجوز أن تكون من قبيل الاستعارة التمثلية.

---

(١) أنظر الإيضاح صـ ١٩٨.

(٢) حاشية الابنابى على رسالة الصبان صـ ١٠٦.

**الحديث بين يدى التمثيل** :

يتجلى لنا فى هذا الحديث الشريف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من رغبة فى العلم ، وحرص على تلقيه ، ووعى وإدراك لما يسمعونه من رسول الله ﷺ ويظهر ذلك جلياً فى عبارات الحديث ، ولنتأمل: " جالس فى المسجد ... والناس معه ... إذا قبل ثلاثة نفر ... أقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ ... ذهب واحد ... وقفا على رسول الله ... أما أحدهما فرأى فرجة فى الحلقة فجلس فيها ... الآخر فجلس خلفهم ... الثالث أدبر ذاهباً " فتلك الجمل تنبئ بما كانوا عليه من خرص ورغبة فى العلم ووعى وإدراك لما سمعوه من النبى ﷺ والملاحظ أن الراوى لم يبدأ الحديث بقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول كما تجرى عليه الرواية فى أكثر الأحاديث وإنما قال " بينما هو جالس فى المسجد ... " فوصف الحالة التى كانوا عليها لما سمعوا الحديث فهو يصف مقام الكلام قبل أن يُحدث بالكلام وكأنه يريك ما كان عليه الحال ثم يسمعك وفى هذا مزيد عناية بأمر المعنى وطالما تجد الأحاديث المبدوءة بشئ غير معتاد عليه كهذا تجد لمعانيها خصوصية فهذا الحديث جاء ليبين أمراً مهماً وهو مجلس العلم لذا نجد الرسول ﷺ قد عرض هذا الحديث فى معرض التمثيل فالحديث كله تصوير لمحبة الله سبحانه وتعالى لعبده وحرصه على مصلحته فقد عرض النبى ﷺ الحديث عن طريق الاستعارة التمثيلية وذلك لجذب انتباه المخاطب وجعله يقبل عليه بكامل جوارحه حتى تتمكن الصورة فى نفسه وتستقر فى عين المشاهد تمام استقرار حيث شبه هيئة كل من " الإيواء – الاستحياء – الإعراض " الحاصل من المولى تبارك وتعالى تقدست ذاته بهيئة من يكون ضالاً فى طريقه يتخبط فى أموره فيلجأ إلى ركن يكون له بمثابة الإيواء والملاذ والاستقرار المعنوى والحسى وأعنى بالمعنوى " المجاز " .

ثم شبه هيئة الاستحياء الحاصل من المولى سبحانه وتعالى تجاه العبد فى عدم مضايقته للعبد التارك لمجالس العلم وغير راغب فيها بهيئة حرص المحب الحييِّ المتصف بالاستحياء فى عدم مضايقته للشخص الحريص على مصلحته وسائر أمره وحب الخير له .

ثم شبه هيئة الإعراض الحاصل من الله سبحانه لمن أعرض عن الجلوس فى مجالس العلم وإعراض المولى يكون على صورة عدم المضايقة والاكتفاء والالتفات عنه بهيئة من يكتفى بالالتفات عن من يضايقه ومن الملاحظ أن مرجع التأثير فى هذه الصورة التمثيلية ليس مرتبطاً بمقدار المعنى وإنما مرتبط بكيفية بروزه أو معرضه ووسيلة إدراك النفس له ؛ فإدراكه فى الصورة المشاهدة يزيد النفس أنساً به وقبولاً له " فقد تعبر عن المعنى بالعبارة التى تؤديه وتبالغ وتجتهد حتى لا تدع فى النفوس منزعاً نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالطول : يوم كأطول ما يتوهم وكأنه لا آخر له وما شاكل ذلك " .[1]

(١) التصوير البيانى د / محمد أبو موسى ص١٤٥ مطبعة وهبة ١٤٢٥ – ٢٠٠٤ .

٤- روى البخارى عن أبى هريرةَ [١] ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (( يَنْزِل[٢] رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ ليلَة إلَى السَّماءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْل الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونى فاسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلنِى فأُعطِيَه مَنْ يسْتَغْفِرنى فَأَغْفِرَ لَهُ )).

كم لهذا النص الكريم من أثر بالغ فى نفوس المؤمنين فحينما يسمعون هذا البيان النبوى يفارقون لذة المتعة ويستثمرون أوقات الإجابة ومنح النفحات لاسيما وقت غفلة الناس وتلذذهم بالنوم، ويؤثرون القيام لمناجاة ربهم والتضرع إليه، فإذا ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [٣] كان ذلك أدل على خلوص نيتهم وصحة رغبتهم فيما عند ربهم، فيوحى لهم القبول والإجابة من الله تعالى [٤].

**المعنى المجازى:-**

فى قوله " **ينزل ربنا كل ليلة** ".

ظاهر هذه العبارة يوهم الجسمية والجهة والانتقال وغير ذلك من صفات الحوادث التى يتنزه سبحانه وتعالى عنها.

**« القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »**

قيل أن نزول الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا " إنما هو نزول رحمه ومزيد لطف وإجابة دعوة وقبول معذرة كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا نزلوا بقرب قوم محتاجين ملهوفين لا نزول حركة وانتقال لاستحالته على الله تعالى [٥].

---

(١) صحيح البخارى ٢/٢٧٠ – التهجد بالليل/الدعاء والصلاة من آخر الليل رقم الحديث ١١٤٥.

(٢) نزل النون والزاى واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شئ ووقوعه يقال نزل المطر من السماء نزولا والنازلة الشديدة من شدائد الدهر " مقاييس اللغة ٥/٤١٧.

(٣) الذرايات ١٧، ١٨.

(٤) فتح المبدى ٢/٨٦.

(٥) فتح المبدى ٢/٨٥.

وقيل يجوز أن يحمل على النزول الحسى لا المعنوى كالسابق حيث قيل: " ويجوز حمله على الحسى: أى ينزل الملك الحامل لأمره ونهيه، وقد حكى ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم الياء من يُنَزل ". قال القرطبى: وكذا قيده بعضهم فيكون معدى إلى مفعول محذوف، أى يُنزل الله تعالى ملكاً، قال: ويدل له رواية النسائى " إن الله ﷻ يمُهل حتى يمضى شطر الليل الأول، ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع فيستجاب له " الحديث " وبهذا يرتفع الإشكال.. ويجوز أن يكون الملك مأموراً بالمناداة ولا يُسأل عما كان بعدها، فهو سبحانه وتعالى أعلم بما كان وبما يكون، لا تخفى عليه خافية " (١).

فلو نظرنا إلى من قال إنما هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة " فيكون على تقدير تشبيه الرحمة ومزيد اللطف بالداعين والإجابة لهم بنزول الملك عن عرشه إلى عبيده للتفضل والإنعام (٢) " فيكون الحديث من قبيل الاستعارة التبعية فى المضارع " يَنْزلَ " أو التمثيلية فى الهيئة المركبة الكلية.

وإذا روعيت الكناية من حيث ذاتها بصرف النظر عن الأمر الخارجى الذى تستحيل معه الحقيقة فى بعض الصور ولوحظ أن نزول الملوك إلى رعاياهم من توابع الإجابة والقبول ونحوهما كانت الجملة الشريفة من قبيل الكناية عن هذه الصفات (٣).

أما على ما نص عليه ابن حجر من أن أبا بكر بن فورك حكى عن بعض المشايخ ضبط " يُنزل " بضم أوله على حذف المفعول أى يُنزل ملكاً، مستدلاً على ذلك برواية النسائى السابقة " إن الله يمهل حتى يمضى شطر الليل ثم يأمر منادياً... الحديث ".

---

(١) المصدر السابق ٢/٨٥.

(٢) فتح البارى ٥/٢٧٢ وقد ذكر فيه أنه على هذا التأويل يكون استعارة.

(٣) حاشية الانبابى صـ ١٠٦.

على ذلك يكون الكلام من قبيل الحقيقة ولا تجّوز فيه ويكون على حذف المفعول وذلك لدلالة السياق عليه ومعرفة أنه الملك أو حذف حتى تذهب فيه النفس كل مذهب لفخامته. فيقال: ترى هل هذا المنزل – بفتح الزاى – أمره تعالى أم ملكه أم ماذا ؟.

وإن قيل إن هذا يحمل على تقدير مضاف محذوف ليكون معنى الكلام " ينزل ملك ربنا أو " ينزل أمره " [١] يمكن أن يقال فى هذا أنه من قبيل المجاز بالحذف على حد قوله تعالى ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ.. ﴾ [٢] أى أهل القرية، فإعراب القرية فى الأصل هو الجر فحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ونحوه قوله تعالى ﴿ وَجَاء رَبُّكَ.. ﴾ [٣] أى أمر ربك [٤].

وإن قيل إنه على معنى " أن نور رحمته تعالى ينتقل من مقتضى صفه الجلال التى تقتضى الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التى تقتضى الرأفة والرحمة " [٥].

**نجد أن هذا الرأى فيه تجوز من وجهين:-**

**أولهما**:- تفسير النزول بالانتقال بالنسبة لنور رحمته تعالى، وهذا يكون من قبيل المجاز المرسل الذى أطلق فيه الخاص وهو النزول وأريد به العام وهو مطلق الانتقال.

**ثانيهما**:- تأويل النزول أو المنتقل بأنه نور رحمته ﷻ، وهذا من قبيل المجاز بالحذف.

**الحديث بين يدى التمثيل** :

"فى كلام رسول الله تناسق وتكامل عجيب ليس فى دائرة النص الواحد ، وفى بناء لغته ومعناه ، وإنما فى دائرة نصوص كلامه ﷺ وحين

---

(١) فتح البارى ٥/٢٧٢.
(٢) يوسف آية رقم ٨٢.
(٣) الفجر ٢٢.
(٤) الإيضاح للخطيب ١٨٢.
(٥) فتح البارى ٥/٢٧٣.

تضع الأحاديث كلها بين يديك تجد فيها تكاملاً عجيباً ، وتجدها تتم بناء واحداً فكأنها كلها حديث واحد[1]" وبيان هذا فى هذا الحديث أن رسول الله ﷺ عرض هذه الصورة فى معرض التمثيل لما له من تأثير قوى فى جذب انتباه السامع حتى يستقر المعنى ويتمكن فى نفسه فضل تمكن حيث شبه الرسول ﷺ هيئة نزول المولى تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ونزوله سبحانه إنما هو نزول رحمة ومزيد لطف وإجابة دعوة وحسن الثواب فى الدنيا بتفريج الكربات وتخليص الشدائد بالفوز بالجنة والنعيم المقيم ... بهيئة من نزلوا بقرب قوم محتاجين ملهوفين لا نزول حركة وانتقال لاستحالته على الله سبحانه وتعالى بجامع الهيئة الحاصلة من مساعدة المحتاج مع كامل التلطف والترحم والإجابة وقبول العذر .

ولا شك أن الرسول ﷺ قد عرض الصورة فى معرض مؤثر من خلال التمثيل فالدعاء إلى الله بالإجابة والسؤال له بالعطاء وطلب المغفرة منه وتوجه المؤمن إليه تعالى بالدعاء بكل هذا وغيره ينبغى أن يكون محققاً وواقعاً ، وكذا استعانته به وركونه إليه واعتماده عليه فالمؤمن يجب عليه أن يتجه إلى ربه بالسؤال ويطلب منه العون فهو وحده الوهاب المعين وهو قريب من عباده يجيب دعاءهم إذا سألوه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... ﴾[2] ولا فائدة من سؤال غير الله لأنهم لا يملكون شيئاً .

ولله دور القائل :

**لا تسألن بنـــى آدم حاجة**
**وسل الذى أبوابه لا تحجب**
**الله يغضب إن شركت سؤاله**
**وبنى آدم حين يسأل يغضب**

❁❁❁

(١) بتصرف من شرح أحاديث من صحيح البخاري د/محمد محمد أبو موسى ص ٢٨٣ .

(٢) البقرة آية رقم ١٨٦ .

٥- روى البخارى عن أبى هريرة [١] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ((يَضْحكُ[٢] الله إلى رَجلَيْن: يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلان الجَنَّةَ، يُقَاتلُ هذَا فى سَبيلِ الله فيُقتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ الله عَلَى القَاتِل فَيُسْتَشهدُ)).

**المعنى المجازى** :-

فى قوله " يضحك الله إلى رجلين ".

فإن ظاهر هذه العبارة فى إسناد الضحك إلى الله ﷻ يوهم الجسمية والجهة والحركة والانتقال وغير ذلك من صفات الحوادث المحالة فى حق الله تعالى.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

قيل " إن المراد بالضحك لازمه وهو الرضا وإرادة اليسر، وكذا سائر الإسنادات المستحيلة على الله تعالى فإن المراد لازمها " [٣].

وكذلك قال الإمام الشنوانى فى حاشيته على مختصر ابن أبى جمرة " بأن المراد من الضحك لازمه وهو الرضا عنه وإرادة الخير له لأن الضحك محال على الله تعالى أى فيرضى الله ﷻ عنه " [٤].

وعلى هذا القول من جعل المراد من الضحك هو لازمه فإنه يمكن أن يكون مجازاً مرسلاً لعلاقة السببية أو المسببية وذلك على اعتبار أن الرضا وإرادة الخير من أسباب الضحك أو مجاز مرسل لعلاقة اللزوم أى على اعتبار أن الرضا وإرادة الخير لا زمان له أو على أن إطلاق سراح من اشتد جرمه وفاضت مساوئه بسبب العجب فى شأننا نحن البشر وإن كان لا عجب فى صنع الملك القهار الذى لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة وما

---

(١) صحيح البخارى ٢٨٢٦/٢ – الجهاد والسير/الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعدُ ويُقتل.

(٢) الضاد والحاء والكاف دليل على الإنكشاف والبروز من ذلك الضحك ضحك الإنسان ويقال أيضاً " الضَّحك والأول أفصح والضحوك هو الطريق الواضح ويقال أضحكت " حوضك إذا ملأته حتى يفيض " مقاييس اللغة ٣٩٣/٣، ٣٩٤.

(٣) فتح المبدى صـ ٦٣١/١.

(٤) حاشية الشنوانى على مختصر ابن أبى جمرة صـ ٦٧.

ذلك الفضل العظيم بعزيز على صفات الكمال لله رب العالمين، أما إذا جعل الضحك من مرادفات الرضا وإرادة الخير فإنه على ذلك يكون من قبيل الكناية عن هذه الصفة المذكورة.

كما أنه يجوز أن تكون هذه العبارة من قبيل الاستعارة التبعية فى الفعل المضارع " يضحك ".

**الحديث بين يدى التمثيل** :

إنه لما كان المراد بكل الإسنادات المستحيلة الخاصة بالله سبحانه وتعالى هو لازم اللفظ كما هو الحال فى " يضحك الله " وليس اللفظ بالمعنى الظاهرى من هنا غدا الرسول ﷺ قد طرح المعنى عن طريق التمثيل مما كان له أثر بالغ فى التأثير على السامعين حيث تجده ﷺ شبه هيئة الرضا واليسر الواقع من المولى سبحانه وتعالى تجاه العبد بهيئة الضحك والتبسم الصادر من السيد الراضى عن عبده المملوك تعالى الله عن المقارنة بجامع الهيئة الحاصلة من القبول والرضا عن سائر الأعمال الصادرة من العبد تجاه مولاه .

ولاشك أن لهذه اللوحة النبوية الشريفة وقعاً جليلاً على النفس وبعداً عميق فى الروح من خلال تصوير رضا الله سبحانه وتعالى وهو أمر معنوى يحسه العبد ويسمو بروحه فى حالة استشعاره برضا يحيطه فى كل صغيرة وكبيرة وكمال العناية به والاهتمام بشأنه بما هو حسى يراه الإنسان ويبصره من الضحك والتبسم فى وجه الآخر دلالة للرضا عنه والإقبال عليه.

❁❁❁

٦- روى البخاري عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: " أنْفِق أنْفِق عليك – وقال – يَدُ الله مَلأى لاَ تَغضيها [١] نَفَقَة سَحاءُ اللَّيلَ والنَهارَ، وقال: أَر أَيْتُم مَا أَنْفَق مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ والأرضَ، فإنَهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِى يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ، وَبِيدِهِ المِيَزانُ يَخْفِض[٢] ويَرفَعُ" » .

**المعنى المجازى :-**

فى هذا الحديث الشريف جمل كثيرة لها صلة وثيقة بموضوع البحث والمحتملة لأكثر من وجه ففيه نسبة اليد لله سبحانه وتعالى تنزه عن ذلك فى قوله " يد الله " كما وصفت هذه اليد بعدة أوصاف تحتاج للتأويل والتوضيح فى قوله " يد الله ملأى لا تغضيها نفقة.. الحديث ".

كما نجد فيه أيضاً الحديث عن العرش وهذا أيضاً يحتاج لتأويل فى قوله " وكان عرشه على الماء " كما نجد فيه أيضاً الحديث عن الميزان فى قوله " وبيده الميزان يخفض ويرفع ".

فهذا الحديث الشريف كما نرى موهماً من حيث اشتماله على كل هذا مما يوقع فى وهم الجهال أن المراد منها ما كان حسياً كما يكون من البشر فيتوهمون بها ثبوت حقائق هذه الجمل إلى الذات العلية تعالى الله عن كل ذلك علواً كبيراً.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

لقد كان للشراح حول توضيح هذا الحديث الشريف مساجلات بارعة فالزمخشرى رحمه الله فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ.. ﴾[٣].

---

(١) الصحيح ١٩٧/٣ – التفسير/سورة هود رقم الحديث ٤٦٨٤.

(٢) غض الغين والضاد أصلان يدل أحدهما على كف ونقص الآخر على طراوه الأول غض البصر وغض كل شئ كففته "رفع" يدل على خلاف الوضع يقال رفعت الشئ رفعاً وهو خلاف الخفض " المقاييس ٣٨٣/٤، ٢/ ٤٢٣ .

(٣) المائدة آية رقم ٦٤.

جعل بسط اليدين مجازاً عن المعنى الذى تكون العبارة كناية عنه فيمن يجوز نسبة اليد إليه وهو البشر، أعنى مجازاً عن الجود كما جعل غلهما مجازاً عن البخل وذلك إذ قال " غل اليد وبسطها مجازاً عن البخل والجود... الخ " (١).

وقد ذكر الشهاب (٢) " أن الزمخشرى قد لا يراعى التفرقة بين من يجوز فى حقه المعنى الحقيقى ومن لا يجوز مستدلاً بجعل الزمخشرى قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٣) من قبيل الكناية عن الملك ".

وقد عدد أبوحيان فى البحر المحيط المعانى المجازية التى تستعمل فيها اليد كالنعمة والقوة والملك والقدرة والتأييد والنصر وذكر أن ظاهر سياق الآية سالفة الذكر يفيد ما قال به الزمخشرى ثم إيثاره أن قولهم " يد الله مغلولة " استعارة عن إمساك الإحسان الصادر من المقهور (٤).

والواضح أن المراد بالاستعارة فى قوله " يد الله مغلولة " وهى استعارة عن إمساك الإحسان استعارة تمثيلية.

وقد ذكر العز بن عبد السلام أن هذا النص الشريف من قبيل ما سماه مجاز الملازمة أو التشبيه، والظاهر أنه قصد بالأول المجاز المرسل لعلاقة اللزوم وبالتالى المجاز الذى تكون علاقته المشابهة وهو الاستعارة مفردة كانت أم مركبة.

كما نجد السيد الشريف فى حاشيته على المطول (٥) يأخذ بقاعدة الزمخشرى فى ذلك والذى روعى فيها من يجوز فى فقه المعنى الحقيقى كما هو المعهود فى حق البشر – ومن لا يجوز، فيعملها فى توجيه معنى

---

(١) الكشاف ٦٢٧/١، ٦٢٨.
(٢) البيان عند الشهاب الخفاجى ٣٢٩/٢ للدكتور فريد النكلاوى.
(٣) طه آية رقم ٥.
(٤) البيان عند الشهاب الخفاجى د/فريد النكلاوى ٣٣٠/٢.
(٥) حاشية السيد الشريف على المطول صـ ٤٠٧.

استوائه تعالى على العرش ويجعل النص محتملاً الوجهين الكناية والمجاز وإن لم ينص الزمخشرى فيه على غير الكناية عن الملك [١].

أما عن قوله " لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار " وقوله " وبيده الميزان يخفض ويرفع " وقوله " وكان عرشه على الماء ".

فإننا نجد الإمام النووى قد فسر هذه المعانى من خلال الأحاديث التى رواها الإمام مسلم والمقاربة لهذا النص الشريف وذلك فى باب الحث على النفقة وتبشير المنفق [٢] بالخلف فقد فسر الإمام النووى [٣] "السح " بالصب الدائم " كما بين أن معنى " وبيده [٤] الميزان يخفض ويرفع " أنه عبارة عن الرزق ومقاديرة، وقد يكون عبارة عن جملة المقادير، وأن معنى " يخفض ويرفع " أنه عبارة عن تقدير الرزق، يقتره على من يشاء ويوسعه على من يشاء وقد يكونان عبارة عن تصرف المقادير بالخلق بالعز والذل.

وبناء على هذا الرأى الذى ذكره الإمام النووى فإنه يبدو واضحاً أن كلامه هذا يحتمل الكناية عن هذه الصفات المذكورة، أو المجاز عنها.

وإذا كان الإمام النووى قد جعل من معانى هذه العبارة التصرف فى مقادير الخلق عزاً وذلاً، فهذا لا يمنع من كون هذه المقادير أعم من ذلك حتى لتشمل السعادة والشقاء بجميع ضروبهما فى الدنيا والآخرة. ومعلوم أن الميزان والعرش من الأمور الغيبية التى لا يعلم كنهها إلا المولى تبارك وتعالى.

وأما قوله " وكان عرشه على الماء " فقد ذكر الإمام الزمخشرى " أن ما كان تحت العرش مخلوق قبل السماوات والأرض... إلى أن قال: "

---

(١) البيان عند الشهاب ٣٣١/٢.
(٢) صحيح مسلم شرح النووى ٧٩/٧، ٨٠.
(٣) شرح النووى ٨٠/٩.
(٤) السابق نفسه ٨٧/٩.

وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته، وكلما ازدادت الأجرام كانت أحوج إليه وإلى إمساكه " [1].

وقد ورد فى صحيح الإمام مسلم [2] هذه العبارة بلفظ " وعرشه على الماء " مما يدل على أن معنى عبارة صحيح البخارى أن العرش كان وما يزال على الماء والله أعلم.

أما الإمام الكرمانى فقد نص على أن لفظ اليد من المتشابهات وأن فى مثله افترقت الأمة فرقين مفوضة.. ومؤولـه.. وأن الأول أسلم والثانى أحكم[3]. وعلى هذا فإنه يتبين بعد عرض هذه الآراء المختلفة أن هذه العبارة الكريمة " يد الله ملأى تحتمل أكثر .

فيمكن أن يكون هذا القول عند من لم يراع المانع الخارجى فى الكناية عن الصفة هى غناه تعالى المطلق الذى لا يتناهى فى الكمال، أو مجازاً عن ذلك المعنى عند من يفرق بين من يجوز إرادة الظاهر فى حقه ومن لم يجز كالزمخشرى ومن نهج نهجه.

أما قوله " لا تغيضها نفقة " فهى أيضاً محتملة الوجهين الكناية والمجاز على النحو السابق إلا أن هذا القول يحتمل أيضاً الاستعارة التبعية فى المضارع " تغيض " وذلك لأن الأصل فى الغيضان أن يكون المقصود به القلة والنضوب فى الماء ونحوه [4].

ومثل هذا يقال فى " سحاء الليل والنهار " وكذلك عبارة " لم يغض ما فى يده ".

**الحديث بين يدى التمثيل** :

الحديث الشريف يشتمل على كثير من الإسنادات المجازية التى دار حولها جدل كثير فى التحليل البلاغى وما أريد أن أذكره هو الحديث الشريف من خلال التمثيل المجازى حيث نجد المولى ﷻ يقول " أنفِق أُنفق عليك " .

---

(١) الكشاف ٢/٢٥٩.
(٢) صحيح مسلم ٩/٨٠، ٨١.
(٣) الكواكب الدرارى ١/٩٧.
(٤) مختار الصحاح ٤٨٦ .

بدأ الحديث أولاً عن قضية الإنفاق الخالص لذاته سبحانه لا من أجل النفاق والشهرة فعرض القضية فى معرض المقابلة بين طرفيها عن طريق التمثيل المجازى فى حالة الانفاقين " انفاق الذات المقدسة يقابله مع الفارق إنفاق خالص من العبد لربه ابتغاء مرضاته حيث شبه ﷺ هيئة الإنفاق الخالص لذاته تعالى بهيئة إنفاق غير نهائى من المولى تبارك وتعالى بجامع الهيئة الحاصلة من الرضا والقبول والإحاطة والشمول فى كل ، والقول بالحقيقة أولى ، لأن إنفاق الله تعالى ورزقه للعباد دائم غير منقطع حقيقة لا تشبيها.

تم تعرض ﷺ لقضية أخرى من الإسنادات المجازية وهى إسناد اليد لله تعالى ولم يكتف بذلك بل جعلها ممتلئة " لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار " .

حيث شبه هيئة النفقة بلا حدود مع الصب الدائم الذى من شأنه أن يكون تبشيراً ضمنياً للمتفق على اتفاقه بهيئة إنسان تكون يده ممتلئة بالعطايا من حيث كونها محملة فوق طاقتها فهى كثيرة السح والتتابع فى الصب بلا انقطاع بجامع الهيئة الحاصلة من الاستمرار والتواصل فى العطاء بلا انقطاع ويجوز أن تكون الصورة من باب المجاز المرسل أو الكناية.

ونمضى مع الإسنادات المجازية فى الحديث النبوى الشريف نحو قوله (( **وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض** )) من حيث التمكن والاستقرار الحاصل من المولى تبارك وتعالى ونعنى بالرفع والخفض تصريف الكون بقدرته حيث شبه هيئة المولى تبارك وتعالى فى تمكنه واستقراره على عرشه قبل خلق السماوات والأرض لسائر الأمور الكونية من أرزاق ومقادير وبيده الميزان يرفع ويخفض بهيئة الملك المستقر فى تمام ملكه الممسك بزمام الأمور يصرفها كيفما يشاء بجامع الهيئة الحاصلة من التمكن والاستقرار والإمساك بزمام الأمور ، والقول بالكناية أعلى.

وعلى هذا فإن التصوير البلاغى للحديث الشريف يعرض صورة لتصريف الله لسائر الأمور بخالص قدرته وتقسيم الأرزاق فهو يقترة على من يشاء ويوسعه على من يشاء أى يرفع ويخفض وكذلك التصريف فى مقادير الخلق من العز والذل والسعادة والشقاء ومن الأمور الغيبية التى يقدرها وفق إرادته وحده فالله ممسك كل هذا بقدرته .

٧- روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى ﷺ من قول الرسول ﷺ (( إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتَهُ )) (١).

قال أبو موسى: ثم قرأ – أى النبى ﷺ – " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة، إن أخذه أليم شديد " (٢).

**المعنى المجازى** :-

فى قوله ﷺ " إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ".

هذا الحديث قد يفهمه بعض الجهال على أن المراد منه هو أن الله سبحانه وتعالى قد يمهل ويؤخر ويطيل للظالم فى المدة وما يردف ذلك من نسبة اليد المحسوسة القابضة بشدة على المجرم تنزه الله سبحانه عما يدعون.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

ذكر الإمام النووى أن معنى يملى " يمهل ويؤخر ويطيل له " يعنى للظالم " فى المدة، وهو مشتق من المُلوة – بضم الميم وكسرها وفتحها وهى العدة والزمان ومعنى لم يفلته: لم يطلقه " (٣).

وقد قيل أن المراد من العبارة الكريمة والله أعلم " لازمها من قوة التمكن وشدة الانتقام وعدم رفع الإهلاك عن الظالم إذا شرعت فيه قوة الإله الجبار " (٤).

وعدم تخليصه أبداً بوجه لكثرة مظالمه حتى الشرك أو عدم تخليصه مدة طويلة إذا كان مؤمناً عاصياً وأريد بالظلم ما يغاير الشرك بالله تعالى والأخذ بمقتضى صفات الجلال بعد الحرمان من التمتع والانتفاع بمقتضى صفات الجمال (٥).

---

(١) الصحيح ١٩٨/٣– التفسير/سورة هود ٤٦٨٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٥٩/٢.
(٣) شرح النووى لصحيح مسلم ١٣٧/٨٦.
(٤) فتح البارى ٤٢٥/٩.
(٥) عمدة القارئ ١٩٧/١٨.

وبناء على ما تقدم فعلى رأى من قال بأن الأخذ وعدم الإفلات من لوازم العقوبة تكون هذه العبارة من قبيل الكناية عن هذه الصفة المذكورة.

كما أن هذه العبارة تحتمل أن تكون من قبيل الاستعارة التبعية فى الفعل الماضى " أخذ " والمضارع " يفلت " كما تحتمل الاستعارة التمثلية فى الهيئة الكلية.

**الحديث بين يدى التمثيل** :

كلام رسول الله ﷺ تجد له نغمة خاصة ويجرى فيه تيار خاص وتشوبه روح مشبوبه حين يرى شرخاً ولو قليلاً فى بناء حياة الناس فما بالك بالظلم الذى نهانا الله عنه لذا نجد الرسول قد عبر عن هذا عن طريق الاستعارة التمثيلية فقد شبه هيئة المولى سبحانه وتعالى فى إمهاله للظالم وتأخيره وإطالته فى المدة حتى يكثر فى ظلمه أو لعله يتوب ويرجع عن ظلمه بهيئة اليد المحسوسة القابضة بشدة على المجرم فهى لا تفلته أبدا تنزه الله سبحانه وعلا علواً شديداً " بجامع الهيئة الحاصلة من الإطالة فى المدة ثم الأخذ بشدة مع عدم الإفلات .

ولا شك أن سر جمال هذه الاستعارة يتمثل فى نقل الرسول ﷺ الصورة من حيز المعنويات إلى المحسوسات فجعل الإطالة فى المدة ثم الأخذ مع عدم الإفلات بصورة المجرم فى حالة القبض عليه والإمساك بقوة فهى أوقع فى النفس وأرسخ فى العقل وتتمكن من صاحبها فضل تمكن ولا شك أن هذه الصورة التمثيلية الرائعة إنما هى عبارة عن صورة متكاملة الأركان والأجزاء بحيث لو حذف جزء منها لاختل المعنى يقول الإمام القاهر : " ينبغى أن تعلم أن المثل الحقيقى والتشبيه الذى هو الأولى أن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما نجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو الجملتين أو أكثر حتى إن التشبيه كلما كان أوغل فى كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى

الجملة أكثر ".[1] وإن كنت أرى أن القول بالكناية عن شدة العقوبة وعدم الإقلات أولى ؛ لما فى التشبيه بهيئة اليد المحسوسة وجفاء .

❁❁❁

(١) أسرار البلاغة ١٢٢ .

٨- روى الإمام البخارى [١] عن أبى سعيد ﷺ أنه قَال: سمعتُ النبىَّ ﷺ يقولُ:

(( يَكْشفُ[٢] رَبُّنا عَنْ سَاقِه فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِئَاءً وَسُمْعَة، فَيَذْهَبُ ليسَجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُه طَبقاً واحِداً )) .

**المعنى المجازي :-**

فى قوله " يكشف ربنا عن ساقه ".

هو الجسمية والحركة والحدوث والجهة وغيرها من الأمور التى يتنزه المولى تبارك وتعالى عنها.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

لقد كان للعلماء حول شرح هذا الحديث وتفسيره صولات وجولات فهذا الحافظ بن كثير رحمه الله قد نقل ابن كثير عن ابن جرير الطبرى وهو ملخص فينبغى ذكر الأصل وهو جامع البيان لابن جرير هذا الحديث الشريف حين تعرض لتفسير الآية الكريمة ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [٣] ونص على أنه مُخرج فى الصحيحين وفى غيرهما من طرق وله ألفاظ وأنه حديث طويل مشهور ونقل تأويلات عدة لما ذكر من الكشف عن الساق [٤] منها:

١- ما نقله عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه يوم القيامة إذا أنه يوم كرب وشدة.

---

(١) الصحيح ١٩٨/٦.

(٢) كشف الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سر والشئ عن الشئ كالثوب سرى عن البدن ويقال كشفت الثوب وغيره أكشفه يقال تكشَّف البرق إذا ملأ السماء " المقاييس ١٨١/٥ ، ١٨٢ " .

(٣) القلم ٤٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٤٠٧/٤، ٤٠٨ بتصرف.

٢- ما نقله عن ابن جرير وشك فيه ابن جرير عن ابن مسعود أو ابن عباس. من أن المعنى يكشف عن أمر عظيم كقول الشاعر:

شَـــالتِ الحـــربُ عـــن ســـاق

٣- ما حكاه عن مجاهد من أن المراد شدة الأمر.

٤- ما نقله عن ابن عباس أيضاً من أن الساق هى أشد ساعة تكـون فى يوم القيامة.

٥- ما حكاه عن ابن جرير من قول مجاهد أيضاً. وهو قريـب مـن الوجه الثالث إنه شدة الأمر وجده.

٦- عن ابن عباس أيضاً: هو الأمر الشديد الفطيع من الهـول يـوم القيامة.

٧- عن ابن عباس أيضاً: يكشف الأمر وتبـدو والأعمـال، وكـشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه.

٨- ما نقله عن ابن جرير عن رواية أبى موسى عن النبى ﷺ قال: " يوم يكشف عن ساق " يعنى عن نور عظيم يخرون له سجداً ".

ثم ذكر ابن كثير [١] قوله فى معنى قوله تعالى ﴿.. وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ [٢]: "... ولما دعوا إلى السجود فـى الـدنيا فامتنعوا منه مع صحبتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليـه فـى الآخرة إذا تجلى الرب ﷻ فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا فى الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون "

وبهذا يتضح أن معظم الوجوه التى ذكرت فى تفسير الكـشف عـن الساق متقاربة فالكرب والشدة وشدة الأمر وفظاعة الهول فى القيامة مؤداها واحد وعلى هذا يمكن جعل هذه العبارة الشريفة " يكشف ربنا عن سـاقه "

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٠٨/٤.

(٢) القلم ٤٣.

من قبيل الكناية عن هذه الصفات وذلك لأن المولى تبارك وتعالى قد خاطبنا بما هو ملموس ومشاهد فى حياتنا من أن المرء إذا اشتد عليه الأمر شمر عن ساقه جاداً ودفعه .

ويحتمل أن يكون النص الشريف كناية " عن صفة أخرى كتجلى الله تعالى على خلقه بأنوار الربوبية أو بجلال جباريته سبحانه وذلك عند من غض الطرف عن المانع الخارجى واستحالة الحقيقة لأجله فى بعض الصور وإلا فإن ذلك يكون من قبيل المجاز [1] " وهذا هو الراجح.

ومن المعلوم لدينا أن النور العظيم الذى أخبر به الصادق الأمين ﷺ بأن المؤمنين يخرون له سجداً ليس من قبيل النور المحسوس والمعهود لنا فى الدنيا ولكنه من الأمور الغيبية التى يجب علينا أن نؤمن بها دون تعليل.

وقد ذكر الإمام العينى كثيراً من هذه الأقوال التى ذكرها ابن كثير فى تفسيره وساق أقوالاً أخرى منها ما نقله عن عبد الله أن المقصود بكشف الساق هو ستور رب العزة إذا كشفت للمؤمن يوم القيامة وقولاً آخر عن الربيع ابن أنس – وهو قريب من سابقة – وهو أنه العطاء فيقع من كان أمس به فى الدنيا ساجداً، وواضح أنه على هذين القولين الأخيرين يكون الكلام من قبيل الحقيقة ولكنها الحقيقة التى نؤمن بها ونفوض فيها العلم إلى الله تعالى فهو سبحانه ﴿.. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [2].

كما نقل [3] الإمام العينى أيضاً قول الحكيم الترمذى وإنكاره لتأويلات الساق وجعله من التعطيل وساق حديث ابن مسعود يرفعه وفيه " بم تعرفون ربكم ؟ قالوا: بيننا وبينه علامة إن رأيناها عرفناه، قال: ما هى ؟ قالوا: يكشف عن ساقه: قال: فيكشف عند ذلك عن ساق، فيخر المؤمنون سجداً ".

---

(١) حاشية الانبابى صـ ١٠٦.
(٢) الشورى ١١.
(٣) عمدة القارئ ٢٥٧/١٩.

ولقد أردف الحكيم الترمذى فيما نقل العينى عنه [1] هذا بقوله: " وما ينكر هذا اللفظ ويفر منه إلا من يفر عن اليد والقدم والوجه ونحوها فيعطل الصفات ".

وعلى هذا فإنه يجب علينا تعظيمه سبحانه وتعالى والمواظبة على السجود لرب العالمين وإلا فإنه إذا أنعدم إخلاص المرء فى سجوده ذهب حينذاك ليسجد فعجز إذ صار ظهره طبقاً واحداً.

**الحديث بين يدى التمثيل** :

يوضح النص النبوى الشريف مدى علاقة العبد ربه سبحانه وإخلاصه فيها فإذا انعدم الإخلاص " إخلاص المرء فى سجوده " ذهب حينذاك ليسجد فعجز إذا صار ظهره طبقاً واحداً وبهذا يمكن أن تقول : لقد نقلت التصوير النبوى من خلال هذه الصورة إلى واقع ملموس ومشاهد فى حياتنا من أن المرء إذا فاجأه أحد بأمر مفزع فإنه يشمر عن ساقه اتقاء لأى شئ أو ضرر.

**ومن هنا يكون التمثيل المجازى على النحو التالى** :

شبه هيئة المولى ﷻ فى كشفه يوم القيامة عن ساقه أى عن أمر عظيم خطير وهى تعرية الحقائق الدنيوية نصب عينيه يوم القيامة مع تجلى أنوار الربوبية على خلقه وذلك عند غض الطرف عن المانع الخارجى واستحالة الحقيقة لأصله فى بعض الصور .

بهيئة من كان فى موقف مفزع جلل فما كان منه إلا أن كشف عن ساقه من هول الموقف وشدته وفر هارباً بجامع الهيئة الحاصل من الانكشاف والظهور والفزع والخوف الشديد .

ومما له أثر بالغ الأهمية ولا يمكن إغفاله هو أن الصورة نقلتنا إلى واقع ملموس مشاهد مجس يجعل النفس تتقبض وتفزع عند سماعه أو تخيله وكأنه حى يجرى فزعاً أمام أعيننا من هول الموقف .

والمعلوم أن كثيرا من العلماء يخرج هذه الأحاديث على الكتابة مع تفويض المراد من المعنى الأول لله ﷻ تفويضاً وتسليما وعجزا عن إدراك عالم الربوبية وهذا هو الراجح .

---

(١) عمدة القارئ ٢٥٧/١٩.

٩- روى البخاري عن صفوان بن محرز [١] أن رجلاً سأل ابن عمر " رضى الله عنهما " كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: ((يَدنُو[٢] أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْه، فَيَقُولُ: عَمِلتَ كَذَاَ وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ: نَعَمُ، فَيُقَرِّرُهُ ثم يَقُولُ: إِنى سَتَرتُ عَلَيْكَ فى الدُّنْيَا فَأَنَا – وفى الهامش وأنا – أَغفِرُها لَكَ اليَومَ)).

**المعنى المجازى** :-

فى قوله ﷺ " يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه ".

إن قوله يدنو أحدكم من ربه مشتملة على دنو العبد من ربه جل وعلا وفيه ما فيه من إيهام الجهة كما أن فى إضافة الكنف إليه تعالى فيه ما فيه من إيهام القرب المكانى تعالى الله عن كل هذا علواً كبيرا.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

لقد فسر الإمام العينى الكنف بالساتر قائلاً " أى حتى تحيط به عنايته التامة ".

كما ذكر الإمام العينى أن هذا الحديث من المتشابهات التى اختلف فيها علماء السلف والخلف بين التفويض والتأويل.

كما وجه كونه من المتشابه اشتماله على دنو العبد من رب العزة جل وعلا وفيه من إيهام الجهة ما فيه، وكذلك إضافة الكنف وهو الساتر إلى الضمير العائد عليه تعالى، ولذلك فسر البدر [٣] الدنو بأنه القرب الرتبى لا القرب المكانى.

---

(١) الصحيح ٩٧/٤ الأدب/ستر المؤمن على نفسه رقم ٦٠٦٩.

(٢) دنا : الدال والنون والحرف المعتل أصل واحد وهو المقاربة ومن ذلك الدنى وهو القريب من دنا يدنو وسميت الدنيا لدنوها يقال دانت بين الأمرين أى قاربت بينهما" مقاييس اللغة ٣٠٣/٢ .

(٣) عمدة القارئ ١٣٩/٢٢.

وبناء على ما تقدم فإنه يمكن أن يكون المقصود من دنو العبد من ربه وضع الكنف عليه من قبيل الكناية عن تعرض العبد لفيض كرمه سبحانه وتمام عنايته به وذلك عند من ينظر إلى الكناية من حيث ذاتها وبصرف النظر عن قرينة الكناية والمانع الخارجى.

**الحديث بين يدى التمثيل** :

لو نظرنا إلى هذا الحديث الشريف نجد أن الجملة الأولى " يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه ..." كأنها أصل برأسه لأنها أم هذا الحديث وعقد معناه والكلام بعدها كأنها استكشاف للطريق الذى يكون عليه العبد يوم القيامة وما يحظى عليه من التقدير من المولى تبارك وتعالى وهو فى جوار الله وتحت ظل حمايته وقدرته ولقد عرض الرسول ﷺ هذه الصورة فى معرض التمثيل حيث شبه هيئة دنو العبد من ربه سبحانه وقربه عنه وفيض كرمه وتمام عنايته به وإلقاء الستر عليه وإلقاء الكفف من قبيل الإلقاء المعنوى فى حال كونه محملاً بالذنوب والخطايا بهيئة المحب المخلص الحانى على كل من يلجأ إليه طالباً الستر والمساعدة فما يجد إلا كل العون والستر والفيض فى العطاء بجامع الهيئة الحاصلة من الستر والفيض والعطاء ، وأميل إلى أن القول بالكناية أقرب من القول بالتمثيل مفضى إلى المستحيل . والله أعلم .

١٠- روى البخارى عن عبادة ابن [١] الصامت عن النبى ﷺ قَالَ: « **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ...** » الحديث.

**المعنى المجازى** :-

" أحب الله لقاءه، كره الله لقاءه ".

إسناد الحب والكره إلى الله سبحانه محتاج لتأويل لما هو معلوم إنهما من صفات الحوادث تنزه الله سبحانه وتعالى عن كل هذا.

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

لقد ذكر الإمام الكرمانى نقلاً عن الأمام النووى [٢] على أنه " عند النزع يكشف لكل إنسان ما هو صائر إليه فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله، لينتقلوا إلى ما أعد الله لهم، ويحب الله لقاءهم ليجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهونه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم أى يبعدهم عن رحمته ولا يريد لهم الخير ".

وعلى هذا فإننا إذا نظرنا إلى المحبة وإجزال العطاء من الترادف والتبعية كان الكلام الشريف من قبيل الكناية عن صفة وهى إجزال الله العطاء للمؤمن الذى بشره برضوانه وكرمه وبالمثل تكون كراهية الله تعالى لقاء الكافر كناية عن صفة كابعادة تعالى إياه عن رحمته وعدم إرادة الخير له وذلك إذا أنذره بعذابه سبحانه وعقوبته.

وإذا راعينا أن المحبة تكون فى العادة سبباً لا جزال العطاء ووفرة الإكرام، وأن الكراهية تكون سبباً فى العقوبة والعذاب وعدم إرادة الخير للمرء المكروه كان النص من قبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية.

---

(١) صحيح البخارى٤/٢٠٠ – الرقاق/من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه رقم الحديث ٦٥٠٧.
(٢) شرح النووى لصحيح مسلم ٩/١٧، ١٠.

" وفى هذا تأكيد على أن أسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادئ التى تكون انفعالات، كما وضحه الإمام البيضاوى فى نسبة الرحمة إليه تعالى " (١).

**الحديث بين يدى التمثيل** :

كان من الممكن أن يسلك البيان فى أداء هذه المعانى طريقاً آخر فيقول " أحبوا لقاء الله حتى يحب لقاءكم ولا تكرهوا لقاء الله حتى لا يكره لقاءكم ... " وفرق كبير بين هذا الطريق والطريق الذى جاء عليه البيان الشريف وذلك من جهة إقبال النفوس وحرصها على مرضاة الله تعالى وإعراضها ونفورها عما يكرهه الحق جل جلاله فكل من آمن بالله وعلم أنه خالقه ورازقه وأنه يتقلب فى نعماء ربه ولا غنى له عن عناية ربه ورعايته كل من آمن بهذا يحرص على أن يعرى ما يرضاه ربه المنعم عليه ليقبل عليه فيحبه الله ، وما يكرهه سبحانه ليعرض عنه فإذا أقبلت على ما يرضى رضى منك ورضى عنك وأحبك ، وإذا أقبلت على ما يكره فلا تلومن إلا نفسك .

ولقد عرض الرسول الكريم هذا المعنى الرائع فى معرض المقابلة بين طرفيه وذلك لكى تستقر الصورة فى النفس ولجذب انتباه المخاطب فنجده قد قابل " الحب – الكره " من العبد لله سبحانه حيث يكون نتيجة ذلك " أحب الله لقاءه ، وكره الله لقاءه " ولا شك أن طريقة المقابلة التى بنى عليها هذا الكلام الشريف ، تعين على وضوح المعانى ، وتجليه معادنها إبراز جوهرها وقد قدم الرسول الكريم حب لقاء الله على كره لقاء الله " لأن الحب هو سبيل القرب وسبيل غيره من الكرامات لأن حب العبد للقاء الله يؤدى إلى حب الله للقاءه وهذا هو منتهى الغايات وذروة القرب وبه تفتح الأبواب وتزال الحجب ومن كره لقاء الله فلا يلومن إلا نفسه . ولما أراد الرسول ﷺ أن يوضح المعنى بصورة حسنة أبرزه فى معرض التصوير التمثيلى عن طريق المجاز حيث شبه هيئة من يحب لقاء الله سبحانه لإجزال العطاء لهم وهيئة من يكره لقاء الله

---

(١) تفسير البيضاوى بحاشية الشهاب ٦٦/١.

تعالى لعلمهم بعاقبة الأمور بهيئة من يحب لقاء من ارتبط به قلبا وقالبا من الناس لعلمه برضاه عليهم والعكس لعلمه ببغضه عليه بجامع الهيئة الحاصلة من الإقبال فى حالة المحبة والإعراض فى حالة الكرة ، وإن كنت ألمح أن الحقيقة هنا أعلى وفاء بحق المعنى .

١١- روى البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ ((يَقْبِضُ اللهُ الأَرضَ ويَطْوِى السَّماءَ بيَمِينِه ثم يَقُولُ: أنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟)) (١).

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

ذكر الإمام (٢) البدر العينى أن هذا الحديث من المتشابهات لما نص على أن المراد من طى السماء هو إذهابها وإفناؤها على أنه يلاحظ أن طية تعالى ليس بعلاج ولا بانتصاب كما هو معهود فينا نحن البشر، وعليه يكون إطلاق الطى على الإذهاب والإفناء من قبيل المجاز المرسل علاقته إطلاق الخاص وإرادة العام.

كما أن ذكر اليد واليمين تأتيان لمعان عدة أظهرها هنا معنى القدرة فإن إطلاق اليد على القدرة من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية.

كما يمكن أن تحمل العبارة على الاستعارة التبعية فى الفعلين المضارعين " يقبض – ويطوى " ويكون ذكر اليمين ترشيحاً للاستعارة الثانية " يطوى ".

كما يمكن أن تكون جملة " يطوى السماء بيمنه " استعارة تخيلية على ما يرى الشيخ عبد القاهر فى مثله إذ نظر إلى مصدر اليد أو اليمين وغير ذلك مما يدخل فى الصورة التركيبية الكلية المكونة للتمثلية " (٣).

كما يجوز أن يكون النص من قبيل الكناية التى ترتبت على المجاز وهذا على ما ذهب إليه الزمخشرى فى قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

---

(١) قبض القاف والباء والضاد أصل واحد يدل على شئ مأخوذ ويجمع فى شئ يقال قبضت الشئ من المال وغيره قبضاً وأما القبض الذى هو الإسراع فمن هذا أيضاً لأنه إذا أسرع جمع نفسه وأطرافه " مقاييس اللغة ٥/٥٠ .

(٢) عمدة القارئ ٢٣/١٠١.

(٣) انرظ أسرار البلاغة خفاجى ط ثانية ٢/٢٢٠ وما بعدها.

اسْتَوَى ﴾ [1] وتكون هذه الكناية من أفراد الكناية عن صفة مثل كمال قدرته وتمام سيطرته تعالى على العالم أجمع.

**الحديث بين يدى التمثيل** :

كم لهذا النص النبوى الشريف من أثر بالغ فى نفوس سامعيه فحينما يسمعون هذا البيان النبوى المصور لما سيحدث يفارقون لذة المتعة ويستثمرون أوقات الفراغ للعمل الصالح ولقد أراد الرسول الكريم أن يكون لهذه الصورة بالغ التأثير فعرضها فى معرض التمثيل حيث شبه هيئة إذهابه وإفنائه تعالى للسماء والأرض بهيئة الطى الحسيين بجامع الهيئة الحاصلة من شدة التمكن فى القدرة على الفيض والطى .

ولا شك أن هذه الصورة التمثيلية كان لها تأثير على النفس من خلال تجسيده ﷺ للمعنوى فى صورة المعون وذلك لأن إدراك المحسوس أقوى من إدراكها المعقول .

(١) طه آية رقم ٥.

١٢- روى البخارى عن سيدنا أنس بن مالك [١] ﷺ أنه قال: قال النبى ﷺ: (( لا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيد حَتَّى يَضَعَ رَبُ العِزَّةِ فيها قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطِ قَطِ وَعِزَّتِكَ، ويزوى[٢] بَعْضُها إلىَ بَعْضٍ )).

❁❁❁

## « القراءة البلاغية بين التأويل والتمثيل »

ذكر الإمام العينى [٣] فى شرح عبارة " يضع رب العزة فيها قدمه " قول الإمام الكرمانى أنه من المتشابهات وقول المهلب فى معنى قدمه تعالى: ما قدم لها من خلقه وسبق لها بمشيئة ووعده ممن يدخلها.

بعد هذه الأقوال الكثيرة فى شرح وتوضيح العبارة الشريفة فإن قوله " يضع رب العزة فيها قدمه " يحتمل أن يكون كناية عن صفة وهى كمال سيطرته تعالى على جهنم وقدرته على زجرها عن طلب المزيد وقوة التصرف فيها والتصريف لها، ولا مانع من أن يكون الله سبحانه قد خلق فى النار تمييزاً وإدراكاً، بدليل حلفها بعزته تعالى بعد قولها قط قط، وكما يفيد قوله ﷻ [٤] ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾.

وأما على أن المراد بالقدم هو الخلق الذى سبق فى علمه تعالى ومشيئته ووعده أنهم داخلوها فإنى أرى أن هذا المعنى متفق مع ما ذكره الرازى فى مختار الصحاح [٥] " والقدم أيضاً السابقة فى الأمر، يقال: لفلان قدم صدق أى أثرة حسنة " فإذا كان القدم هو السابقة فى الأمر، وكانت هذه الطائفة من الخلق هى المحل لهذه السابقة كان إطلاق القدم على هؤلاء الناس من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الحالية بمراعاة اللفظ المذكور أو المحلية

---

(١) الصحيح ٤/٢٣٣ – الإيمان والنذور/الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته رقم ٦٦٦١.

(٢) أزوى الزاى والواو والياء أصل يدل على إنضمام وتجمع يقال زويت الشئ ، جمعته ويقال زوى الرجل ما بين عينيه إذا قبضه " مقاييس اللغة ٣/٣٤ .

(٣) عمدة القارئ ٢٣/١٨٥، ١٨٦.

(٤) سورة ق ٣٠.

(٥) مختار الصحاح ٥٢٥.

بمراعاة المتروك أو هما معاً بمراعتهما كليهما، وتكون إضافة القدم إلى الضمير العائد عليه تعالى باعتبار أنه سبحانه الخالق والهالك.

ودلالة النص ظاهرة فى إفادة عدل الله تعالى وفضله إذ لم يترك جهنم فتأتى على الأخضر واليابس صالحاً وطالحاً، وإنما وضع لشرهها حداً، فإذا ما حاولت أن تتجاوزه تجلت عليها بعض أثار قدرته تعالى فقنعت وارتدعت وانزوى بعضها على بعض.

وإذا كان رب العزة قد قال لنبيه المصطفى ﷺ ﴿.. وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١) فإن هذا الحديث الشريف كاشف عن كثير من معنى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۞وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٢).

**الحديث بين يدى التمثيل** :

" هذا الحديث الشريف يروى صورة ينخلع لها القلب فى لغة هادئة جداً وواثقة مطمئنة لأن من غير المألوف أن تكون الصورة والمعانى مشحونة بالرعب واللغة مشحونة بالرزانة والوقار وهذه مسألة يختلف فيها كلام رسول الله عن كلام الناس ، لأنه ﷺ لم يستخرج معانيه من قلبه فتنتقض ألفاظه إذا انتقضت معانيه وإنما هو ﷺ يبلغ عن ربه وفرق كبير بين لغة تعالج استخراج المعنى من القلب فتصيغ بصيغته وبين لغة تتلبس بالمعنى الذى ألقى فى القلب"(٣) ولقد عرض الرسول الكريم هذا الحديث فى معرض التمثيل لجذب انتباه السامع حيث شبه هيئة إفادة عدل الله سبحانه وفضله إذ لم يترك جهنم " لأنها ذات تمييز وإدراك " بدليل قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾(٤) فتأتى على الأخضر واليابس

---

(١) النحل ٤٤.

(٢) سورة ق ٣٠، ٣١.

(٣) بتصرف من شرح أحاديث من صحيح البخاري د/ محمد أبو موسى ٢٩٢ .

(٤) سورة ق الآية ٣٠ .

صالحاً وطالحاً فوضع لشرها حداً فإذا ما حاولت أن تتجاوز تجلت عليها بعض آثار قدرته .

بهيئة من كان حاكماً مسيطراً متسلطاً فتجد من يرده ويتكلم فى توجيهه كيفما يشاء .

بجامع الهيئة الحاصلة من الرد والتوجيه والردع فى الوقت المناسب وفق إرادة الله وقدرته .

وسر جمال هذه الاستعارة التمثيلية أنها صورت المعنى المعقول فى صورة المحسوس مما كان له أكبر الأثر فى النفس وفى توضيح المعنى واستقراره فى النفس .

والقول بأنها كناية عن صفة كما سبق أولى بالقبول والله أعلم

❁❁❁

## غايات المنهج

لكل منهج غاية يريد بلوغها، وتختلف غايات المنهج باختلاف الموضوع المنوط به معالجته، فإذا اتخذ المنهج من البلاغة سبيلاً، ومن التأويل مقصداً، ومن القرآن الكريم والحديث الشريف موضوعاً، فإن غايات المنهج لا شك تتعلق بهذه المحاور الثلاثة: القرآن الكريم والحديث الشريف، والبلاغة، والتأويل فمن غايات المنهج البلاغى ما يلى:

١- فهم معانى القرآن الكريم والحديث الشريف.

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم وأمر الناس أن يفهموه ويتدبروا آياته، وما خفى عليهم فهمه من القرآن فعليهم أن يفهموه ويعرفون من السنة النبوية الشارحة والمفسرة لكتاب الله ، قال تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾.

وقال سبحانه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (١).

ولما كانت آيات القرآن الكريم ذات طبيعتين " محكمة " يقف المتدبر لها على المراد معناها بمجرد فهم الظاهر منها، و " متشابهة " يتسنى للمتدبر الوصول إلى معناها إذا تجاوز المعنى الظاهر من ألفاظها، كان التأويل هو " الرجوع " إلى حقيقة المعنى الكامن وراء ظاهر اللفظ، و " الوصول " إلى مراد الله مما يظهر من آياته، و " التفسير " لآيات القرآن الكريم كلها والسنة النبوية شارحة ، للقرآن الكريم وموضحة لما غمض فيه وما خفى منها.

وكان مرجعه أيضاً إلى التأويل الذى من خلاله نصل إلى حقيقة المعنى الكامن وراء اللفظ وللوصول إلى مراد الله مما يظهر من آياته وإلى مراد الرسول ﷺ من خلال أحاديثه.

فالتأويل يسع القرآن الكريم لله دون استثناء، ولا أرى كما ذكر بعض العلماء أن الله ﷻ أنزل فى كتابه الكريم ما لا يقدر المتدبر على تأويله وفهمه فالقرآن الكريم بلاغ للناس مبين، فما ثمة آية فى كتاب الله إلا ولها

(١) سورة محمد ٢٤.

من التأويل وجه أو عدة وجوه، وإذا كان هناك بعض علماء المسلمين قد رأى أن هناك من الآيات ما لا يعلم تأويله إلا الله، فإن التراث الضخم الذى تركه المفسرون لكتاب الله لا يقبل هذا، بل يثبت خلافه وبين أيدينا كتب التفسير لم تتوقف عند آية من آيات القرآن دونها تأويل أو تفسير، مرجعه العلم بتأويلها إلى الله سبحانه وتعالى وحده، زاعمة أنها لا تفسير لها.

وعندما استخدم المفسرون عبارة " والله أعلم بمرادة وكذلك شراح الحديث الشريف كانوا دائماً يسبقونها بفيض هائل من التأويلات ومن هنا فمنهج التأويل يسعى لفهم كامل للقرآن الكريم والحديث الشريف لايستثنى منه آية أو حديث أو جزء من آية أو حديث وهذا ما ذهب إليه جماعة من أهل العلم فعن " ابن عباس قال: إن القرآن ذو شحون وفنون، وظهور، وبطون، لا تنقضى عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا. ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار، وأمثال، وحلال، وحرام وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجا لسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء"(١).

وعلى هذا فإن غاية التأويل هى محاولة للفهم عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ سواء فيما يتصل بالعقيدة أو الشريعة وذلك على هدى مما أحكم من معانى العقيدة والشريعة فى القرآن الكريم ذاته والسنة النبوية نفسها .

**ثانياً:- انطلاق التأويل من القرآن الكريم والحديث الشريف**

لا تستطيع كثير من التأويلات أن تصل إلى غايتها من فهم مراد الله ﷻ ومراد رسوله الكريم ﷺ وذلك لأنها تقدم تصورات مسبقة على التأويل، أى إنها تقدم أولاً تصوراً ثم تحاول من خلال التأويل إثبات صحته، وبهذا ينطلق التأويل من هذا التصور خادماً له ويصبح المعنى المؤول غير مراد فى ذاته وإنما يقتصر دوره على تدعيم هذا التصور.

---

(١) السيوطى الاتقان فى علوم القرآن ١٨٣/٤.

وهذه التصورات المسبقة تخضع غالباً لأهواء المؤول وأغراضه وميوله وبهذا يصبر التأويل تحريفاً لمعانى القرآن والحديث الشريف وليس فهماً لها.

ولا شك فى أن كثيراً من التأويلات قد وقعت فى هذا الخطأ، وأفه هذه التأويلات غياب المنهج الذى يضمن للتأويل الموضوعية، وعدم الوقوع فى الذاتية حيث تهيمن ذات المؤول على التأويل فتجعل من التأويل وسيلة لإثبات عقائد هذه الذات.

لهذا فإن غاية المنهج البلاغى للتأويل أن يتخذ لنفسه من البلاغة منهجاً موضوعياً ينأى عن إفساد التأويل بالخضوع للأهواء والميول المذهبية، كما يناى عن الوقوع فى بعض المعانى الحرفية للقرآن الكريم التى تفهم أحياناً من ظاهر الآيات.

ويهدف هذا المنهج إلى أن يضع من خلال أصول البلاغة قواعد للتأويل، فيقيه بذلك من " الإفراط " بأن يسير التأويل فى ركاب رغبة المؤول أينما سار، ويقيه كذلك من " التفريط " بأن يكتفى بظاهر الكتاب دون معانيه المرادة، وهو ما نبه إليه عبد القاهر الجرجانى " ت ٤٧١ هـ " عند رده على من قدح فى المجاز ووصفه بغير الصدق بقوله " ولو لم يجب البحث عن حقيقة المجاز والعناية به حتى تحصل ضروبه وتضبط أقسامه، إلا للسلامة من مثل هذه المقالة والخلاص من مثل هذه الشبهة، لكان من حق العاقل أن يتوفر عليه، ويصرف العناية إليه، فكيف وبطالب الدين حاجة ماسة إليه من جهات يطول عدها، وللشيطان من جانب الجهل به مداخل خفية يأتيهم منها، فيسرق دينهم حيث لا يشعرون، ويلقيهم فى الضلالة من حيث ظنوا أنهم يهتدون ؟ وقد اقتسموا البلاد فيه من جانبى الإفراط والتفريط، فمن مغرور مغرى بنفيه دفعة، والبراءة منه جملة، يشمئز من ذكره وينبوعن اسمه، يرى أن لزوم الظواهر فرض لازم، وضرب الخيام حولها حتم واجب، وآخر يعلو فيه ويفرط، ويتجاوز حده ويخبط، فيعدل عن

الظاهر والمعنى عليه، ويسوم نفسه التعمق فى التأويل ولا سبب يدعو إليه"(١).

**ثالثاً:- تمكين البلاغة من استنباط معانى القرآن والحديث الشريف.**

إن المنهج البلاغى فى التأويل عندما يتخذ من الأسس البلاغية قواعد له يكون بذلك قد ابتغى للتأويل ألصقها بطبيعة القرآن الكريم والحديث الشريف ونِعم المنهج الذى يستمد قواعده من طبيعة ما يتناوله بالدراسة. كما يكون قد أعاد لعلوم البلاغة قدرتها على استنباط المعنى بعد أن تم تقليص دور البلاغة فى بيان جماليات القرآن وحسب.

أما عن القرآن الكريم فقد كان لعلوم البلاغة فى خدمته دوران.

**الأول**:- إظهار ما يتمتع به القرآن الكريم من خصائص بلاغية فائقة سواء أكان فى مجال اللفظ أو التركيب أو الصورة البيانية.

**الثانى**:- استنباط معانى القرآن الكريم.

وقد نال الدور الأول كل العناية قديماً وحديثاً ويرجع ذلك إلى اتصاله بقضية أساسية من قضايا الدين كله وليس القرآن وحده ونعنى بها قضية إعجاز القرآن فإثبات إعجاز القرآن متصل بإثبات الدين كله، وقد كان من الواضح أن مناط الإعجاز يكمن فى تلك البلاغة القرآنية التى خالفت كل بلاغة وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثلها ومن ثم فقد أسهم المتكلمون والمفسرون والبلاغيون فى تقديم " دلائل الإعجاز من خلال إبراز مميزات البلاغة القرآنية وخصائصها وكشف " أسرار البلاغة " القرآنية التى ميزتها عن بلاغة البشر وقد جدت فى سبيل الاهتمام بهذا الجانب أن انشغلت علوم البلاغة عن دور آخر منوط بها وهو استنباط معانى القرآن الكريم وبيان تفسيره وهذا ما يحاول المنهج البلاغى استعادته واستكماله جوانبه.

فالأساس فى المنهج البلاغى أن يتخذ من أساليب البيان العربى سبيلاً لتأويل القرآن الكريم والحديث الشريف، والبلاغة العربية وفهم طرائق

---

(١) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود شاكر صـ ٣٩١ ط ١ دار المدنى ١٤٢١ هـ/١٩٩١ م.

العرب في التعبير هى السبيل لفهم ولتأويل القرآن والحديث لأن " الذى ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار والجمع والتفريق والاستعارة والتصريح والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التى توجد فى كلامهم موجود فى القرآن"(١).

ومع ما يظن من أن هذه القاعدة التى قررها القرآن وأكد عليها العلماء من الحقائق الثابتة فى فهم كتاب الله فإن منكرى التأويل لم يجدوا أمامهم طريقاً للطعن فى التأويل سوى إنكار هذه الحقيقة، فهم يعتبرون أن " من البلاوى " " كذا " التى ابتليت بها أمة الإسلام بعد انقضاء قرن الصحابة والتابعين بلية القول لوقوع المجاز فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واعتباره أصلاً من الأصول المعتمدة فى التأويل، وذلك لما يحتوى عليه هذا الأصل من محاولة القضاء على قداسة النص الشرعى أو إبطال دلالته وفتح الباب أمام أهل الهواء والبدع لينسبوا إلى الشريعة الإسلامية ما شاءوا " (٢).

**رابعاً:- بيان عصمة القرآن الكريم والحديث الشريف.**

للتأويل غاية بعد ذلك تصل بالقرآن الكريم من ناحية أخرى ونعنى بذلك غايته فى إثبات عصمة القرآن الكريم والحديث الشريف كما أرشدنا إلى ذلك قوله تعالى ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾.

فالتأويل يسعى وراء الشبهات من القرآن الكريم والحديث الشريف تلك الشبهات التى تنجم عن أحد أمرين:

**الأول**:- ما يتوهم من معارضة الآيات، القرآنية وكذلك الأحاديث الشريفة للعقل وأعنى بالعقل هنا كل ما يتمكن العقل من صحته يقيناً من حقائق العلم والتاريخ والمنطق الصائب.

**الثانى**:- ما يتوهم من التعارض بين بعض الآيات والأحاديث ذاتها.

---

(١) إعجاز القرآن الباقلانى تحقيق محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم بيروت ط ١٤٨٢/١ هـ/١٩٨٨ صـ ٧٥.

(٢) جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية لدكتور محمد أحمد لوح دار ابن القيد.

ويبدو أن هذه الآيات التى يتعارض ظاهرها كانت مثار جدل بين المسلمين الأوائل فقد " خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر فكأنما يفقأ فى وجهه حب الرهان من الغضب، فقال لهم: مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم " (١).

**خامساً:- إتاحة قبول الخلاف فى الرأى.**

إذا لم يتمكن المنهج البلاغى من التوحيد التام بين المذاهب الإسلامية، والقضاء على حالة التشرذم التى تعانى منها، فإنه على أقل تقدير يمكنه أن يقدم برهاناً على إمكانية قبول الرأى المخالف، ويثبت أن هناك مسوغاً مقبولاً للاختلاف فيما يظنه البعض ليس فيه مجال للاختلاف.

**سادساً:- سيرورة الاجتهاد واستئنافه دون انقطاع.**

المنهج البلاغى بعد هذه الغايات كلها – إنما يبتغى تحقيق مراد الله من الاجتهاد فى فهم القرآن والحديث الشريف على بصيرة والتأويل منهج للفهم يجتهد فيه المؤول فيصيب فله أجران، ويجتهد فيه آخر فيخطئ وله أجر، وهذا الاجتهاد فى التأويل واستئنافه دوماً دون انقطاع من شأنه إثراء الفكر الإسلامى، وفتح آفاق جديدة لفهم القرآن الكريم والحديث الشريف، وكسر قيد الجمود الفكرى الذى عمل على تغييب العقل الإسلامى عن النهضة زمناً طويلاً.

" ففى مقابل القسمات التى تمجد العقل فى تراثنا الإسلامى، هناك النصوصيون الذين يقدسون ظاهر النص ويمنعون التأويل للنصوص التى تتعارض ظواهرها مع ثمار العقل، أو على الأقل يتحرجون من هذا التأويل فيقيدونه التقييد المخل والمقيد لطاقات العقول " (٢).

وغاية المنهج البلاغى أن يفتح باب التأويل المنضبط لتتحرر طاقات العقول.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٢٣.

(٢) رسائل العدل والتوحيد لدكتور محمد عمارة صـ ٤٣.

## " المعجم التصويرى للنظر النبوى الشريف بين التأول والتمثيل "

| الكلمة | المعنى التأويلى | المعنى التمثيلى " الدلالة السياقية للكلمة فى الجملة " |
|---|---|---|
| " يد الله " فى قوله ﷺ " والذى نفسى بيده..." . | كمال قدرته تعالى . | الهيئة الحاصلة من تمكن إدارة الله سبحانه من عبده وقدرته على تصريفه لسائر أموره . |
| " لا يمل الله " فى قوله ﷺ " لا يمل الله حتى تملوا " . | أى عدم الترك أى أن الله لا يترك الثواب ما لم تتركوا العمل . | الهيئة الحاصلة من عدم استثقال المولى تبارك وتعالى من عبادته وحرصه على مجازاته لأعمالهم مع عدم الملل من المداومة على ذلك |
| " فأوى إلى الله " فى قوله ﷺ " فآوى إلى الله فأواه الله " . | كلاءة الله للعبد وإرادة الخير له . | الهيئة الحاصلة من إيواء وكلاء الله للعبد وإرادة الخير لمن اوى إلى حلقات العلم وجاء ربه مطيعاً . |
| " فاستحيا الله منه " فى قوله ﷺ " وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه". | الترك أى أن الله سبحانه يترك عقاب من لم يرد مضايقته الجالسين فى حلقة العلم " . | الهيئة الحاصلة من الاستحياء الحاصل من المولى سبحانه فى عدم مضايقته للعبد التارك لمجلس العلم وغير راغب فيه |
| فأعرض الله عنه " فى قوله " وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه " . | التعرض لسخط الله سبحانه . | الهيئة الحاصلة من الإعراض الحاصل من المولى سبحانه لمن أعرض عن الجلوس فى مجالس العلم وعدم مضايقته وعدم الالتفات إليه . |
| " ينزل ربنا " فى قوله ﷺ | نزول رحمته ومزيد | الهيئة الحاصلة من مساعدته |

| | | |
|---|---|---|
| " ينزل ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة " . | لطفه على عباده وإجابة دعوتهم . | سبحانه للمحتاج من عباده مع كامل التلطف والترحم وقبول الأعذار وإجابة دعواهم . |
| " يضحك الله " فى قوله ﷺ " يضحك الله إلى رجلين " . | الرضا وإرادة اليسر . | الهيئة الحاصلة من الرضا واليسر الواقعان من الله سبحانه تجاه العبد والرضا عن سائر الأعمال الصادرة من العبد تجاه مولاه . |
| " أَنْفِق أُنفق عليك ". | إجزال العطاء . | الهيئة الحاصلة من الإنفاق اللانهائى من المولى سبحانه للعبد الذى ينفق ابتغاء مرضاته سبحانه مع الرضا والقبول له وإحاطته وشموله |
| " يد الله ملأى لا تغضيها سحاء الليل والنهار " . | دوام العطاء بلا حدود . | الهيئة الحاصلة من استمرار العطاء بلا حدود مع الصب الدائم الذى من شأنه أن يكون تبشيراً للمنفق على إنفاقه . |
| " كان عرشه على الماء وبيده الميزان تخفيض ويرفع " . | الملك وتقدير الرزق والمقادير . | الهيئة الحاصلة من التمكن والاستقرار والتملك الحاصل من المولى فى تصريف الكون بقدرته وتقدير الأرزاق ومقادير الخلق عزاً وذلاً وسعادة وشقاء . |
| إن الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. | قوة التمكن وشدة الانتقام . | الهيئة الحاصلة من الله سبحانه فى إمهاله الظالم وتأخيره له فى المدة حتى يكثر من ظلمه أو لعله يتوب ويرجع عن ظلمه ثم |

| | | |
|---|---|---|
| | | الأخذ بشدة مع عدم الإفلات. |
| يكشف ربنا عن ساقه. | الكرب والشدة وتجلى المولى على خلقه بأنوار الربوبية . | الهيئة الحاصلة للمولى ﷻ فى كشفه يوم القيامة عن ساقه أى عن أمر عظيم جلل على خلقه وهى تعرية الحقائق الدنيوية نصب أعينهم يوم القيامة مع تجلى أنوار الربوبية . |
| يدنوا أحدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه. | تعرض العبد لفيض كرمه سبحانه وتمام عنايته به . | الهيئة الحاصلة من دنو العبد من ربه سبحانه فى حال كونه محملاً بالذنوب والخطايا مع الستر والفيض والعطاء بلا حدود . |
| " أحب الله لقاءه " . | إجزال الله العطاء للمؤمن الذى بشره برضوانه وكرمه . | الهيئة الحاصلة من إجزال الله الخطايا وإقباله على عبده وحبه له . |
| " كره الله لقاءه " . | إبعاده تعالى إياه عن رحمته وذلك إذا أنذره بعذابه سبحانه وعقوبته " | الهيئة الحاصلة من إبعاد المولى عبده عن رحمته وعدم إقباله عليه . |
| يفيض الله الأرض ويطوى السماء . | كمال قدرته وسيطرته تعالى على العالم أجمع . | الهيئة الحاصلة من إذهابه وإفنائه سبحانه للسماء والأرض مع شدة التمكن فى القدرة على القبض والطى . |
| " جف القلم بما أنت لاق " . | الانتهاء من تقدير ما كان وما يكون من المقادير كافة . | الهيئة الحاصلة من انتهاء المولى سبحانه وتعالى من تقدير ما كان وما سيكون من المقادير كافة . |
| " يضع رب العزة فيها | كمال سيطرته تعالى | الهيئة الحاصلة من إفادة عدل الله |

| | | |
|---|---|---|
| قدمه ... " . | على جهنم وقدرته على زجرها عن اطلب المزيد . | سبحانه وفضله إذ لم يترك جهنم فتأت على الأخضر واليابس صالحاً وطالحاً مع قوة التصرف فيها والتصريف لها . |

## الخاتمة ونتائج البحث

تأويل القرآن الكريم والحديث الشريف موضوع ذو أبعاد متعددة وقد اختار هذا الشريف البحث جانب التأسيس التنظيرى لمنهج بلاغي فى تأويل القرآن والحديث انطلاقاً من رؤية تقوم على ضرورة إعمال علوم البلاغة للوصول إلى المعنى القرآني وإلى معنى الحديث الشريف ، وهو ما يعنى إعادة تلك العلوم لدورها الأول الذى أسست من أجله فى خدمة القرآن الكريم والحديث الشريف .

وقد استنبط البحث معالم المنهج البلاغى وغاياته من خلال تحليل تلك الأحاديث التى ظهر منها التأويل .

ومن خلال هذا البحث يمكن استخلاص بعض النتائج منها :

١- يقوم المنهج البلاغى على القراءة البلاغية للقرآن الكريم والحديث الشريف والقراءة البلاغية لا ينحصر فى مباحث علم البيان وإنها تشمل كذلك كل ما يمكن أن يمكن من القراءة التى تكشف عن المعانى غير الظاهرية للقرآن الكريم والحديث الشريف ويشترك فى ذلك بعض مباحث علم المعانى كالأغراض البلاغية للخبر والإنشاء .

٢- لمنهج القراءة البلاغية محوران : خارجى يعتمد على مقارنة الأساليب القرآنية والنبوية لنظيره من أساليب البيان الغربى فى سياقات متشابهة ، وداخلى يعتمد على مقارنة الأساليب القرآنية والنبوية فيها بينها ، ويعتبر السياق من أهم المحددات لمسار التأويل .

٣- تتخلص أهم غايات المنهج البلاغى فى فهم معانى القرآن الكريم والحديث الشريف وانطلاق التأويل من القرآن والحديث الشريف، وتمكين البلاغة من استنباط معانى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وبيان عصمة القرآن ، والكشف عن وحدة الفكر الإسلامى ، وإتاحة قبول الخلاف فى الرأى ، وسيرورة الاجتهاد واستئنافه دون انقطاع .

٤- تسبب قصور ضوابط التأويل فى ظهور مشكلات فى المنهج البلاغى إذ لم يستطع أن يجد ضوابط تحدد الراجح من التأويلات البلاغية

المختلفة مما أدى إلى إتساع نطاق التأويل البلاغى حتى لتبدو بعض التأويلات البلاغية شديدة التباين ، بل متناقضة فى بعض الأحيان مع كونها محتكمة لنفس المنهج ونفس الضوابط .

٥- لقد كان هذا البحث توكيداً على توكيد إذ برهن بالدليل القاطع وبما انتظمة من الدراسة التطبيقية على أن بلاغة النبوة فى قمة الكمال من البيان البشرى ، وعلى أنه إذا كان الذوق يوجب الكناية فى بعض المقامات فإن الكنايات النبوية قد برهنت على كمال ذوق من أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فمن شاء أن يصقل ملكته الذوقية المدركة لمواطن الروعة ووجوه الجمال فليول وجهه شطر بلاغه الكتاب الكريم وسنة النبى العظيم ﷺ .

كما يلقى الباحث فى أسلوبه ﷺ من محاسن تملأ الطرف وتدق عن الوصف .

ومن مظاهر ذلك أن حديثهم بدت فيه الكناية العفيفة سواء فى ذلك اللغوية المفردة كتكنية صحابى جليل [١] عما يحس به أثناء الصلاة يخرج من دبره من الريح بلفظ " الشئ " والبيانية المركبة كقول سيدنا أنس ﷺ [٢] (( **وإبراهيم يجود بنفسه** )) كناية عن احتضار إبراهيم ابن النبى ﷺ .

وبعد فيبقى التأويل البلاغي سبباً وراء كثير من الاختلافات فى العقيدة والشريعة والتفسير ومع ذلك يبقى باب التأويل مفتوحاً أمام الاجتهاد فمنه ما يصيب ومنه ما يخطئ وكل مأجور من الله تعالى .



(١) الصحيح ١/٤٦ .
(٢) الصحيح ٢/١٠٥ .

## المصادر والمراجع

١- **أساس البلاغة** " لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشرى " تحقيق محمد باسل عيون السود . دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

٢- **اجتماع الجيوش الإسلامية** على عزو المعطلة والجهمية لابن القيم " أبو عبد الله محمد ابن أبى بكر " دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ٢٠٠١ م .

٣- **أسرار البلاغة** للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدنى الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

٤- **الإحكام فى أصول الأحكام** لابن حزم " أبو محمد على " مطبعة العاصمة القاهرة ، " د . ت " .

٥- **الأسماء والصفات** للإمام البيهقى .

٦- **الإكليل فى المتشابه والتأويل** لابن تيمية تحقيق محمد الشيمى شحاته ، دار الإيمان ، المنصورة .

٧- **الإيمان** لابن تيمية دار ابن خلدون الإسكندرية " د . ت " .

٨- **البحر المحيط** لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى مطبعة دار الفكر الطبعة الثانية سنة ١٤١٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

٩- **التصوير البيانى** دراسة تحليلية لمسائل البيان د / محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .

١٠- **التصوير الفنى فى القرآن الكريم** لسيد قطب دار الشروق القاهرة الطبعة ١٦ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

١١- **التفسير البيانى** للقرآن الكريم للدكتورة عائشة عبد الرحمن دار المعارف القاهرة الطبعة السابعة " د . ت " .

١٢- **التفسير الكبير** ومفاتح الغيب للإمام الفخر الرازى دار إحياء التراث العربى الطبعة الثالثة بيروت .

١٣- **الصواعق المرسلة** على الجهمية والمعطلة لابن القيم "أبو عبد الله محمد ابن أبى بكر " اختصره ابن الموصلى " تحقيق سيد إبراهيم مطبعة دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

١٤- **الأشباه والنظائر** فى القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان ، تحقيق عبد الله شحاتة ، دار غريب ، القاهرة ٢٠٠١ م .

١٥- **الكواكب الدرارى** للإمام الكرمانى .

١٦- **الطو** للعلى للذهبى " شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان " تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى المكتب الإسلامى الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

١٧- **المجالس المستنصرية** للشيرازى تحقيق محمد زينهم عزب مكتبة مدبولى القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، ١٩٩١ م .

١٨- **المستصفى من علم الأصول** للغزالى دار الفكر بيروت " د . ت " .

١٩- **المفردات فى غريب القرآن** للأصفهانى " الحسين بن محمد المعروف بالراغب " دار الحلو للتراث القاهرة " د . ت " .

٢٠- **الإيضاح** للخطيب القزوينى " جلال الدين محمد ابن عبد الرحمن " تحقيق د / عبد القادر حسن مكتبة الأسراب .

٢١- **تأويل مشكل الحديث وبيانه** للإمام الحافظ أبى بكر بن فورك " أبو بكر محمد بن الحسن " تحقيق موسى محمد على دار الكتب الحديثة القاهرة " د . ت " .

٢٢- تفسير **القرآن العظيم** للحافظ ابن كثير تحقيق عبد العزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور ، محمد إبراهيم دار الشعب .

٢٣- تفسير **البيضاوى** " أنوار التنزيل " للقاى البيضاوى بهامش حاشية الشهاب دار صادر – بيروت لبنان .

٢٤- تفسير **المنار** لمحمد عبده " تفسير القرآن الحكيم " الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة " د . ت " .

٢٥- **تفسير البروسوى** " روح البيان " .
٢٦- **جناية التأويل الفاسد** على العقيدة الإسلامية لمحمد أحمد نوح دار ابن القيم الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
٢٧- **حاشية الانبابى** على الرسالة البيانية للصبان المطبعة الميرية بيولاق الطبعة الأولى ١٣١٥ هـ .
٢٨- **حاشية السيد الشريف الجرجانى** على هامش المطول دار الكتب العلمية " د . ت " .
٢٩- **حاشية الشنوانى** على مختصر ابن أبى جمرة .
٣٠- **دلائل الإعجاز** للإمام عبد القاهر الجرجانى تحقيق محمود محمد شاكر مكتبة الخانجى ، القاهرة .
٣١- **ذم التأويل** لابن قدامة " موفق الدين عبد الله بن أحمد " دار البصيرة الإسكندرية ٢٠٠٢ م .
٣٢- **رسائل العدل والتوحيد** للدكتور محمد عمارة الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة القاهرة " د . ت " .
٣٣- **شرح البيجورى** على جوهرة التوحيد الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية وزارة التربية والتعليم القاهرة ١٤١١هـ/١٩٩١م .
٣٤- **الصحاح** " تاج اللغة وصحاح العربية " تأليف إسماعيل بن حماد الجوهرى تحقيق أحمد عبد الغفور العطار مطابع دار الكتاب العربى القاهرة .
٣٥- **صحيح البخارى** " أبى عبد الله محمد بن إسماعيل " مكتبة الثقافة الدينية القاهرة " د . ت " .
٣٦- **صحيح مسلم** بشرح الإمام النووى ومحى الدين أبو زكريا يعى ابن شرف " مكتبة الإيمان " د . ت " .
٣٧- **الكشاف** عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى تحقيق مصطفى حسين أحمد دار الريان القاهرة ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٣٨- **عمدة القارئ** بشرح صحيح النجدى للإمام بدر الدين العينى مكتبة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .
٣٩- **غرر الفوائد** ودرر القلائد " للمرتضى " الشريف على بن الحسين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربى بيروت ١٩٩٨ م .
٤٠- **فتح البارى** بشرح صحيح البخارى للإمام بن حجر العسقلانى دار إحياء التراث العربى بيروت .
٤١- **فتح المبدى** .
٤٢- **فصل المقال** فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد " محمد بن أحمد بن محمد " تحقيق " مصطفى عبد الجواد عمران " المكتبة المعمودية القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م.
٤٣- **فضائح الباطنية** للغزالى تحقيق محمد على قطب المكتبة العصرية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
٤٤- **قانون التأويل** للغزالى " أبو حامد محمد بن محمد " تحقيق إبراهيم أمين محمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالى " د . ت " .
٤٥- **كتاب التوحيد** وإثبات صفات الرب لابن خزيمة تحقيق محمد خليل هراس دار الشريعة ط ١ ، ١٤٢٤ هـ م ٢٠٠٤ م .
٤٦- **كشف أسرار** الباطنية وأخبار القرامطة للحماوى تحقيق محمد زاهد الكوثرى مكتبة نشر الثقافة الإسلامية القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م.
٤٧- **متن القصيدة النونية** لابن القيم " أبو عبد الله محمد بن أبى بكر " دار ابن حزم بيروت ط ١ ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٤ م .
٤٨- **مختار الصحاح** للجوهرى " إسماعيل بن حماد " بعناية أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربى مصر ١٩٥٦ م .
٤٩- **مختصر الصواعق** المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم تحقيق سيد إبراهيم دار ابن حزم بيروت .

٥٠- **معجم مقاييس اللغة** لأبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا سنة٣٩٥ تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون طبعة دار الجيل ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٥١- **مقالات الكوثرى** لمحمد زاهد الكوثرى ، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

٥٢- **ملاك التأويل القاطع** بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه للفظ من أى التنزيل للغرناطى تحقيق سعيد الفلاح دار العرب الإسلامى بيروت ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٥٣- **مناهج تجديد** فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب لأمين الخولى الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥ م .

٥٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لابن خلكان تحقيق محى الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط ١ ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

❁❁❁